

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La  
Recherche Scientifique

Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib

Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales

Département langue et lettre arabe



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي

# ملاح لسانيات الخطاب في تراثنا البلاغي كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: لسانيات

من إشراف الدكتور  
"بوسغادي حبيب"

إعداد الطالبة:  
1- ناجي حياة

اللجنة المناقشة المكونة من الأعضاء الآتي ذكرهم:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د/ مغني صنديد محمد نجيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	رئيسا
أ.د/ بوسغادي حبيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	مشرفا، مقرا
أ.د/ بربار عيسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	ممتحنا

السنة الجامعية:  
2025-2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الشكر وعرّفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وفضلته تنزل الخيرات وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات الحمد لله أهل الثناء المتفرد والمتوحد بصفه النجد والجلاء وأزكى الصلوات والتسليم على سيدنا محمد المبرور بالبهرى ، صلاة لا يستطيع لها الحساب عدوا ولا حصرا

أشكر الله تعالى في الأول وفي الأخير الذي أعانني في إتمام هذا العمل المتواضع .

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرّفان الأستاذ بوسغادي حبيب لقبوله تقديمي هذا العمل الذي قمته به .

كما لا أنسى في الأخير بأن أتقدم بشكر الجزيل لكل من ساعدني بمعلومة ، نصيحة ، توجيه أو بكلمة طيبة في أي مكان.

# إهداء

إلى روح فقيدتي التي سكنت جنان الرحمن وفارقت الحياة مبكر حبيبتي " جنان "  
أهدي هذا البحث إلى صاحب القلب الطيب الذي كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي والذي  
العزير .

إلى أُمي الغالية أطال الله في عمرها وأمدّها بموفور الصحة والعافية .

إلى زوجي العظيم الذي لم يقف يوماً عشرة أمام تحقيق طموحاتي ونجاحاتي .

إلى فلذات أكبادي أبنائي ورفقاء دربي " حسام - رفيده - أريج "

أقر الله عيناي بهم إلى أساتذتي الكرام الذين ساعدوني ومنحوني من علمهم وتوجيههم جعل الله ذلك في  
ميزان حسناتهم .

# مقدمة

إن فن النثر القصصي قد شهد تطورا كبيرا في الأدب العربي الحديث ، وكانت له مكانة عالية بين الأجناس الأدبية ، فقد رأى عبد الله إبراهيم وغيره من العلماء بأن السردية اللسانية هي دراسة الخطاب السردى على مستواه اللساني والعلائق التي بدورها تربط الراوي بالمضمون الحكائي .

فنجد بأن هذا العلم استفاد كثيرا من البحث اللساني الحديث ومعاصر ومن ممثليه : جيران جينيت ، روان بارث وتودوروف ، ونرى ظهور العديد من المناهج العلمية حاولت بدورها فهم النص وتصنيفه والإجابة على أسئلته ، ومن هاته المناهج التي اعتنت بطبيعة النص عناية كبيرة هي علم اللغة والنقد الأدبي لقد سبقت إلى البلاغة والأسلوبية ثم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ثم فقه اللغة وفي الأخير علم اللسان .

ومن خلال البحوث رأى العلماء بأن العلاقات الداخلية للنص بحاجة ماسة إلى تناول اللغة المكتوبة والمنطوقة تناولاً لسانياً ، ووصلوا في الأخير إلى علم يطلق عليه علم اللغة النصي ، وبعد البحث لم يتفق الباحثون على مصطلح واحد فأطلقوا عليه : علم اللغة النصي ، علم النص ، لسانيات النص ، نحو النص ، نظرية النص ، وترجع الارهاصات الأولى لهذا العلم إلى العالم الأمريكي هاريس سنة 1952.

انطلاقاً من هذا اخترنا عنوان مذكرتنا الموسومة بـ : " ملامح من لسانيات الخطاب في تراثنا البلاغي كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني " .  
ومن الأسباب التي دافعتني ان اختار هذا الموضوع هو اعجابي به نظراً لحدائته في اساحة الدرس اللساني ، وكذلك الغوص فيه لمعرفة المزيد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

أما عن الإشكالية التي يطرحها الموضوع فتمثل في الإجابة عن الأسئلة التالي :

- ما مفهوم النص في الفكر الغربي والعربي؟

- ما نقصد بمصطلح الخطاب عند الغرب والعرب؟
- كيف نشأت لسانيات الخطاب وكيف تطورت؟
- كيف وظف عبد القاهر الجرجاني الإتساق وادواته في كابه دلائل الإعجاز؟
- ما هي آليات الانسجام في كتاب دلائل الإعجاز؟

وللإجابة عن هاته الإشكالية اتبعنا خطة كالآتي : مقدمة ومدخل خصصته للحديث عن مفاهيم عامة حول مصطلحات البحث لسانيات الخطاب وتضمن 3 مباحث ، المبحث الأول يتحدث عن مصطلح النص عند العرب والغرب أما المبحث الثاني عن الخطاب عند الغرب والعرب ، والمبحث الثالث يتحدث عن تطور لسانيات الخطاب ونشأتها .

بعدها انتقلنا إلى الفصل الأول المعنون ب: التعريف بالمصنف عبد القاهر الجرجاني وكتابه دلائل الإعجاز تناولنا في مبحثين المبحث الأول السيرة الذاتية لعبد القاهر الجرجاني والمبحث الثاني تعريف بالكتاب دلائل الإعجاز .

أما الفصل الثاني فيتضمن مبحثين كذلك الأول تحدثنا فيه الإتساق وادواته في كتاب دلائل الإعجاز ، والثاني الانسجام وآلياته في نفس الكتاب ، وختمت بحثي بخاتمة تتضمن مجموعة من النتائج المتوصل إليها .

وقد اتبعت في بحثي هذا منهج الوصفي مرفوقا بالتحليل ، وهو المنهج الذي يصف الظاهرة اللغوية و يحللها وفق ما تسمح به خطة البحث وما تقتضيه المادة العلمية للقضايا المعالجة في ثنايا فصول البحث .

ولالإمام بجميع عناصر الخطة والإجابة عن الإشكالية اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع منها :

✚ القرآن الكريم

✚ المصدر الأساسي وهو : دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني .

✚ اللسانيات ونحو النص لإبراهيم خليل

✚ المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون.

✚ لسان العرب لابن المنصور .

✚ علم اللغة النصي ونظرية التطبيق لمصطفى صلاح قطب.

✚ نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية لعبد القاهر الجرجاني ووليد

محمد مراد.

✚ الكتابة في درجة الصفر لرولان بارث .

✚ محاضرات في لسانيات النص لجميل حمداوي.

ومن الصعوبات التي واجهتها هي صعوبة الحصول على بعض المراجع التطبيقية وفضل الله تجاوزتها بالإعتماد على أهمها .

وفي الأخير أتمنى أن يكون عملي هذا إضافة متواضعة لعلها تفيد القراء ، ولا يفوتني ان اشكر كل من كانت له يد العون لإتمام هذا البحث ، دون ان انسى التوجه بأسمى عبارات الشكر للأستاذ المشرف المحترم " بوسغادي حبيب" على تحمله العناء معي لاتمام هذا العمل ، وقد كان دقيقا في مواعيد والتوجيهات بالقدر الذي كان صبورا على قراءة هذا البحث وتصحيحه ، والذي افادني بملاحظاته الهادفة ونصائحه القيمة التي أسداها لي من بداية البحث إلى نهايته فله مني خالص الشكر والعرفان ، ونأمل أن تكون دراستي فاتحة لدراسات أخرى قادمة بإذن الله .

واسأل الله تعالى أن يوفقنا 'لى ما فيه الخير والسداد.

عين تموشنت في :

30/04/2025

ناجي حياة

مدخل : مفاهيم  
عامة حول  
مصطلحات البحث  
لسانيات الخطاب

## 1. مصطلح النص لدى العرب والغرب

## 1. مفهوم النص

## أ/ لغة

النص في "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي: نصصتُ الحديث إلى فلانٍ نصا أي رفعتَه، قال : ونص الحديث إلى أهله فإنّ الوثيقة في نصه ونص كل شيء منتهاه

1

في أساس البلاغة "للمخشري" في مادة نصص: الماشطة تنصُّ العروس فتقدها على المنصة ... أي ترفعها وانتص السنام : ارتقع وانتصب.<sup>2</sup>

في "لسان العرب" لابن منظور في مادة نصص يقول: النَّصُّ رَفْعُكَ الشَّيْءِ. نصَّ الحديث ينصه نصا: رفعهن وكلّ ما أظهر فقد نُصَّ. قال عمرو بن دينار: ما رأيتُ رجلاً أنصَّ للحديث من الزُّهري أي أرفع له وأسند.<sup>3</sup>

وفي القاموس المحيط "للفيروز ابادي" في مادة نصص: نص الحديث إليه: رفعه .... وانتص: انقبض، وانتصب، وارتقع.<sup>4</sup>

وما يظهر جلياً مما سبق أن المنظرين العرب القدامى لم يخرجوا في تعريفهم للكلمة عن إطار الوضوح والاكتمال والرفعة والبروز

"والنصّ عند الفقهاء: نص الكتاب أو السنة أو هما جميعاً، والقاعدة الأصولية المعروفة لا اجتهاد مع النصّ تعنى ذلك"<sup>1</sup>

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، العراق، د.ط 1980، ج7، ص 86.

2 - لمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1919م، 1هـ 1998م/ ج 2، ص 25.

3 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، محرم 1405 هـ، ج 7، ص 97.

4 - الفيروزبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، دار الحديث القاهرة 1429هـ - 2008م، ج 1، ص 1615-1616.

أما عن لغة المحدثين فيقول "المعجم الوسيط": «النص هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف»<sup>2</sup>

النص في المعجم الغربي يعني النسخ، وهو في الفرنسية "texte"، وفي الإسبانية

وفي الإنجليزية "text" وفي الروسية "tekto"، والأصل اللاتيني للكلمة في تلك اللغات وهو "textus".<sup>3</sup>

وإذا استقرأنا المجال المفاهيمي اللغوي للكلمة، فلا نلمس التقاطع إلا من ذلك الذي يوحي بالتراص بين المتاع حين نجعل بعضه فوق بعض وجزئيات النسخ، فهل سنلمس بوناً في المجال الاصطلاحي أم أنّ الرؤى ستتقارب بين الدفتين العربية و الغربية؟ وبين الزمنين البعيدين؟.

#### ب/ النص عند العرب

إذا انتقلنا إلى مفهوم النص في التراث العربي اكتشفنا عدم اهتمام القدماء اهتماماً يذكر بمفهوم النص، باستثناء علماء الأصول وعلى رأسهم الإمام الشافعي، بوصفه أول من تطرق إلى مفهوم النص في نظريته عن البيان حيث يذكر عن النص أنه "ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره".<sup>4</sup> و على ذلك فالنص هو ما رفع في بيانه إلى أبعد غاياته.<sup>5</sup>

وفي تعريف النص يقول الشافعي هو " المستغنى فيه بالتنزيل عن التأويل " <sup>6</sup> ويقول السرخسي " وأما النص فما ازداد وضوحاً بقرينة تقترن من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهراً بدون تلك القرينة<sup>1</sup>

1 - مصطفى صلاح قطب، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2014 ، ص 54

2 - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط دار الدعوة اسطنبول، د.ط، 1980، ص 926.

3 - عبد الله خضر حمد، لسانيات النص القرآني دراسة تطبيقية في الترابط النصي، دار القلم، بيروت، لبنان د.ط، د.ت، ص 71.

4 - الشافعي ، الرسالة ، ص32.

5- الباجي ، الإشارة في أصول الفقه ، ص55

6- الشافعي ، الرسالة ، ص14

ويعرف الشريف الجرجاني بأن النص: ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصا في بيان محبته النص: ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل: ما لا يحتمل التأويل" <sup>2</sup>

كما أن للنص مفهوما آخر عند الأصوليين : "إذ يستعملون هذا اللفظ فيما ورد في بحوثهم من اصطلاحات مثل : عبارة النص وإشارة النص... إلى آخره يفهم منها أنهم يطلقونه على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء أكان ظاهرا أو نصا أو مفسرا، أي أن كل ما ورد من صاحب الشرع فهو نص <sup>3</sup> ويبدو أن الدلالة كانت المعيار الوحيد الذي احتكم إليه الأصوليون لأول وهلة، ولكن تلك الدلالة تكون مرتبطة باللفظ المركب سواء أكان منطوقا أم مكتوبا .

و يجلي نصر حامد أبو زيد نظرة الأصوليين إلى ( النص ) ( جاعلا منه نصيبا من العلاقة بين المنطوق اللفظي والدلالة، ثم يقول في ذلك : "النص" هو الواضح وضوحا بحيث لا يحتمل سوى معنى واحد، ويقابل النص المجمل الذي يتساوى فيه معنيان يصعب ترجيح أحدهما، ويكون الظاهر أقرب إلى النص من حيث إن المعنى الراجع فيه هو المعنى القريب... <sup>4</sup>

نبتعد عن الصواب إذا ما قلنا بأن "محاولة المطابقة بين النص بمعناه اللغوي أو في التراث العربي وبين النص بالمفهوم الذي عرف به في الدراسات النقدية، يمكن محاولة مطابقة قسرية، لأن النص لغة يعني أقصى الشيء ومنتهاه، أي أن الكلام قد انتهى وأعلق، ولم يعد قابلا للزيادة أو النقصان أو التغيير أو الاجتهاد، لأن ما فيه بلغ حده وغايته ولا مزيد بعده، فأصل النص أقصى الشيء وغايته والنص في النقد، ولاسيما عند المدارس

1 - السرخسي ، أصول السرخسي ، 164/1.

2 - الجرجاني ، التعريفات ، ص 241/1.

3 - السيد احمد عبد الغفار ، التصور اللغوي عند الأصوليين ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، ط 1 ، 1401هـ، ص 146.

4 -نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 5 ، 2000م ، ص 180

الحديثة هو نقيض ما سبق، لأنه في التراث العربي جاء تعريفه واضحاً دقيقاً، وهو غير ما جاءت به المدارس النقدية بتعريفاتها المختلفة وبعدم اتفاقها على مفهوم جازم.

### ج/ النص عند الغرب

لقد بحث في النص، ودلالاته مجموعة من النقاد والباحثين من مختلفي المشارب، والاتجاهات النقدية المختلفة ومنهم السوسيوولوجيون كالباحث الروسي لوتمان Lotman الذي يرى أن النص يعتمد على ثلاثة مكونات التعبير أي الجانب اللغوي والتحديد: أي أن للنص دلالة لا تقبل التجزئة فهو يحقق دلالة ثقافية محددة، وينقل دلالاتها الكاملة.<sup>1</sup> والخاصية البنيوية وتعني أن النص بنية منظمة وليس مجرد متوالية من العلامات بل التنظيم الداخلي ضروري للنص وأساس في تكوينه .

ويرتبط النص عند العالم اللساني هلمسليف Louis Helmsley بالملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب، طويلاً كان أو قصيراً "فعبارة stop أي قف هي في نظر هالمسليف نص.<sup>2</sup>

فالنص إذا عند هلمسليف Louis Helmsley لا ينظر إلى نصيته من جهة الطول أو التركيب وإنما من جهة انغلاقيته ولذلك لا يمكن عد الجملة التابعة لغيرها نصاً لأن " الجملة في النص ذات دلالة جزئية، ولا يمكن أن تتقرر بالتحديد الدلالة الحقيقية لكل جملة داخل ما يسمى بكلية النص إلا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في ذلك التسلسل / التتابع الجملي، إذ ينظر إلى النص مهما صغر حجمه على أنه وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالاعتداد هنا ليس بالامتداد الطولي للنص، بل بالأبنية الكبرى المتلاحمة داخلياً التي يقدمها النص.<sup>3</sup>

وعند تودوروف Tzvetan Todorov "النص إنتاج لغوي منغلق على ذاته ومستقل بدلالاته، وقد يكون جملة، أو كتاباً بأكمله. وهذا الإنتاج اللغوي لا شك له

<sup>1</sup> -يسرى نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية ، دار النشر للناطقة والتوزيع ، ط1 ، 2014م ، ص18.

<sup>2</sup> -علم اللغة النص ، ص139.

<sup>3</sup> - محمد عزام ، النص الغائب : تجليات التناسل في الشعر العربي ، اتحاد الكتاب العربي ، 2001م ، ص14.

وجهان وجه اللفظ ووجه المعنى، ولا يمكن تعريف النص من خلال اللفظ فقط، بل هناك من أعطى الأولوية للمعنى على اللفظ، حيث يكون النص وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص.<sup>1</sup>

ويعتبر فان ديك Van Dijk من الباحثين الذين اشتغلوا على النص كثيرا، وقد ذكر في كتابيه : بعض مظاهر قواعد النص 1972 النص والسياق 1977 ، أن "النص نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة وأساس الأفعال، وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل، من ويعتبر فان ديك Van Dijk من الباحثين الذين اشتغلوا على النص كثيرا، وقد ذكر في كتابيه : بعض مظاهر قواعد النص 1972 النص والسياق 1977 ، أن "النص نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة وأساس الأفعال، وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل، من جهة أخرى.<sup>2</sup>

أما هاليدى M. Halliday و رقية حسن R.Hassan فقد أكدا في كتابهما الاتساق في الإنكليزية ( 1976 أن النص "وحدة لغوية في طور الاستعمال، وهو لا يتعلق بالجمل، وإنما يتحقق بواسطتها. وهما يركزان على الوحدة والانسجام في النص من خلال الإشارة إلى كونه وحدة دلالية "ولا يهتمان بالطول حيث يقولان النص يمكن أن يكون له أي طول .... وبعض النصوص تتشابه في الحقيقة من حيث إنها يمكن أن تكون أقل من جملة واحدة في التركيب النحوي مثل: التحذيرات العناوين الإعلانات الإهداءات.<sup>3</sup>

وفي السياق نفسه يؤكد دريسلر Derssler أن النص هو القول المكتفي بذاته والمكتمل دلالاته في فهو لا يعتمد على الطول في تحديد النص بل الاكتمال والاستقلال، وهذا يعني أن النص قد يكون كلمة، أو جملة، أو مجموعة من الجمل، لكن بشرط التعلق فيما بينها، فكل متتالية من الجمل تشكل نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح أن تكون بين عناصر هذه الجمل علاقات.<sup>4</sup>

1 - محمد خطابي ، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، ط 1 ، 1991م ، ص13.

2-محمد عزام ، النص الغائب ، ص16.

3-محمد عزام ، النص الغائب ، ص16..

4-صباحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية ، ص29.

ويرى روبرت دي بوجراند De Beaugrande Robert أن النص قد يتوسع ليشمل أي علامة لغوية دالة، سواء مكتوبة أو منطوقة أو إشارة مرئية كلغة الإشارات فالنص في نظره "يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط (مثلا) علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها"<sup>1</sup>

ونقل التعريف عنهما سعيد بحيري حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير، وهي الربط والتماسك والقصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناسق.<sup>2</sup>

وقد جعل در يسler Derssler وروبرت دي بوجراند De Beaugrande Robert الربط النحوي المعيار الأول، ثم يأتي بعده التماسك الدلالي وأما المعايير الأخرى وهي القصدية، فيراد بها ما يشمله النص من هدف. وأما المقبولية فيمثلها موقف المتلقي من النص بحيث يكون النص لديه متماسك اللغة والإخبارية وهي توقع المعلومات الواردة في النص أو عدمه. والموقفية تتعلق بمناسبة النص للموقف، وأما التناسق فيختص بارتباط النص بنصوص أخرى.

**الربط النحوي** : وهو المعيار الأول، ويتحقق هذا المعيار في النص عندما تتوافر العلاقات الشكلية بواسطة أدوات ووسائل تربط بين أجزاء النص، وينجم هذا الربط عن إجراءات تبدو فيها العناصر الشكلية في صورة أحداث يؤدي السابق منها إلى اللاحق.

**التماسك الدلالي** : ويظهر هذا المعيار في وجود علاقة منطقية كالسببية وعلاقة العموم أو الخصوص بين المفاهيم والتصورات، بحيث يتحقق انسجام النص.

**القصدية** : وتعني أن النص ليس رصفا للكلمات، وإنما تخضع هذه الكلمات لتخطيط يقوم به المنشئ قصد تحقيق هدف.

**المقبولية** : وهي موقف إقرار من المتلقي بأن العناصر اللغوية المكونة للنص تشكل نصا متماسكا مقبولا لديه.

**الإخبارية** : ومنهم من يسميها الإعلامية ويفترض أن يفهم منها أن النص ينبغي أن يقدم المتلقيه خبرا، أو يعلمه بشيء، وهنا يتصور أن يكون للمتلقي موقفا مما سيقدمه النص، أي

<sup>1</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، عدد 164، 1992م، ص 215.

<sup>2</sup> - ينظر محمد الخطابي، لسانيات النص، ص 13

أفق توقعه ويعرف دي بوجراند الإخبارية بأنها "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم النص في مقابل البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية

الدرجة عند كثرة البدائل وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال...<sup>1</sup> فالإخبارية ترتبط بما في النص من جدة، وكلما كانت الوقائع غير متوقعة بعيدة عن المحتمل غير معتادة كانت الكفاءة الإعلامية عالية الدرجة

**الموقفية** : أو المقامية، فلفهم النص لا يكفي الوقوف على عناصره اللغوية، وإنما لا بد من إدراج الموقف عند القراءة، لما له من أهمية في تحديد دلالة الحدث الكلامي. ويعرف الناقدان المقامية بأنها : "تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره...<sup>2</sup>

**التناس** : وهو في نظر دي بوجراند (Robert de Beaugrande) ودريسلر Dressler يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أو بغير وساطة.<sup>3</sup>

ويتبين أن هذا التعريف قد أكم بأطراف ما ذكره النقاد بشأن تعريف النص، وألف بين مستويات عدة قد يهمل بعضها في تعريفات أخرى، فقد جمع بين المستويات اللغوي والتركيبية والدلالي ومستوى المؤلف والقارئ والسياق وعلامة النص بغيره من النصوص هذه المعايير السبعة هي التي تعطي للمنتج الكتابي سمة النصية، وإذا سقط معيار منها فقد النص سمة من سمات الاكتمال النصي لأن نصيته تكون تامة بناء على ما نص عليه تعريف دريسلر ودي بوجراند من اجتماع تلك المعايير. وأما إذا نقص بعض هذه المعايير فإن ذلك لا ينزع صفة النصية عنه.

1 - روبرت دي لوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1998م ، ص97.

2 - سعيد حسين بحيري ، علم لغة النص ، الشركة العالمية للنشر ، لونغمان المصرية ، ط1 ، ص146.

3 - روبرت دي لوجراد ، النص والخطاب والاجراء ، ص105

ويظهر أن مفهوم النص عند دريسلر ودي بوجراند بعيد عن المفهوم البنيوي الذي لا يعترف بالمضمون والنظرية التفكيكية التي نفت قصد المؤلف عن العمل الأدبي بل أقصت المؤلف وأعلنت موته فرأت أن من حق المتلقي أو القارئ أن يعيد تأليف وإنتاج ما يقرأه كما يهوى دون أي معيار أو منهج يقيده، بل ودون أي قصد محدد له. فالقارئ لا يبحث عن البنية المتماسكة للعمل الأدبي والمرتبطة بقصد الأديب والذي يشكل عمودها الفقري.<sup>1</sup>

إن هذه المعايير السبعة هي من القضايا النصية الأساسية التي جعلها الناقدان محكا للنصوص قصد معرفة مدى توافر سمة النصية فيها. وإن كان الباحثون الحداثيون قد أطلقوا على القرآن الكريم تسمية (نص قرآني خروجاً عن القواعد التي صاغها الأصوليون، فإنه لا يمكن أن نقيس نصية القرآن الكريم بهذه المعايير كلها مراعاة لقداسة القرآن الكريم، وإنما تصلح هذه المعايير للنصوص الأدبية.

ويعد الناقد الفرنسي رولان بارت Roland Barthes من النقاد الذين ساهموا في تعريف النص مساهمة جلية، حيث نشر بحثاً بعنوان "من العمل إلى النص" ميز فيه بين العمل الأدبي والنص الأدبي. "فالأول شيء محدد مادي يُحمل باليد، بينما الثاني تحمله اللغة وله وجود منهجي فقط. والأول يرتبط بالأجناس والأنواع ويخضع للتصنيف بينما الثاني يتجاوز ذلك كله، والأول أحادي، أما الثاني فتعددي (التناس)، والأول ملك لصاحبه والثاني ملك لقارئه يقرؤه من جديد، لا كما أراد مؤلفه، بل قراءة إنتاجية تقرب القراءة من الكتابة حيث يصبح القارئ كاتباً لنص جديد.<sup>3</sup>

ويعطي بارت Roland Barthes للنص تعريفاً لغوياً حيث يرى أنه "نسيج من الكلمات، ومجموعة نغمية وجسم لغوي،<sup>4</sup> ثم يعرفه في إطار السيميائيات "بأنه نسيج من

1 - النص والخطاب والاجراء ، ص104.

2 - نفس المرجع ، نفس الصفحة

3 - نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية لونجمان ، ط1 ، 2003م ، ص490.

4- ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص213.

الدوال التي تكون العمل<sup>1</sup>، وقد شبه هذا النسيج بنسيج العنكبوت فهو محكم ومتماسك، ويرتبط بعضه ببعض، في إطار وحدة كلية.<sup>2</sup>

يقول في تعريفه " كلمة نص تعني النسيج. ولكن بينما اعتبر هذا النسيج دائماً وإلى الآن على أنه نتاج وستار جاهز يمكن خلفه المعنى (الحقيقة) ويختفي بهذا القدر أو ذاك، فإننا نشدد الآن على الفكرة التوليدية التي ترى إلى النص يصنع ذاته ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم : تتفك الذات وسط هذا النسيج. هذا النسيج ضاعة فيه، كأنها عنكبوت تنوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها."<sup>3</sup>

ويرى بارت أن النص ليس سطرا من الكلمات، ينتج عنه معنى أحادي، أو ينتج عنه معنى لاهوتي... ولكنه فضاء لأبعاد متعددة تتجاوز فيها كتابات مختلفة وتتنازع، دون أن يكون أي منها أصليا : فالنص نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤر الثقافة.<sup>4</sup> وعلى ذلك فإن بارت يرفض الإدراك التقليدي الذي يخضع العمل الأدبي لصاحبه وينهي مخطط البنية بينهما... والأخرى أن يصبح الحديث عن تعددية المستويات : النص لا يحتوي بداخله معنى، بل يتكون من عدة طبقات، ولا واحدة من هذه الطبقات هي الأولى ولا الأخيرة.

ومن هذا المنظور يكون النص قابلا لتعدد القراءات وما كان ذلك ليكون لولا أنه فضاء تتراوح فيه كتابات أخرى وتتراكم فيه أصناف من الثقافة، لأن الكاتب لا يستطيع إلا أن يحاكي حركة سابقة له على الدوام، دون أن نكون هذه الحركة أصلية.<sup>5</sup>

النص إذن لا يحمل دلالة واحدة ثابتة فهو عند بارت متعدد القراءات وكل قرلة تكشف عن دلالة مختلفة عن سابقتها أو مزامنتها، أي أن النص يمارس الإرجاء باستمرار،

1 - محمد عزام ، النص الغائب ، ص 19.

2 - حسين خمري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، الدار العربية للعلوم وناشرون ، ص44.

3 - نفس المرجع ، ص44.

4 ينظر رولان بارت ، درس سيمولوجيا ، ترجمة : بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، ط3 ، 1993م ، ص85.

5 - رولان بارت ، لذة النص ، ترجمة منذر عياش ، ص62.

لأنه لا يفصح عن دلالة نهائية، فهو يتألف من أصوات عديدة وتمتدح فيه ثقافات مختلفة مما جعله مفتوحاً، ويصبح القارئ كأنه مسهم في بنائه وإعادة إنتاجه.

أما الناقدة جوليا كريستيفا Julia Kristeva فتري أن النص يتجاوز الخطاب أو القول، فهو في نظرها موضوع للعديد من الممارسات السيمولوجية التي تشكل ظواهر عبر لغوية مكونة بواسطة اللغة. إن النص بهذا المعنى جهاز عبر "لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية مما يعني أمرين: علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع عن طريق التفكير وإعادة البناء، مما يجعله صالحاً لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.

يمثل النصّ عملية استبدال من نصوص أخرى أي عملية تناص)، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحديد بعضها الآخر ونقضه.<sup>1</sup> " إن هذا التصور للنص جعل كريستيفا "تقترح رؤية نقدية جديدة، تؤكد انفتاحية النص الأدبي على عناصر لغوية وغير اللغوية (إشارات ورموز) متجاوزة بذلك التصور البنويي".<sup>2</sup>

هذا المقطع يبين لنا مفهوم التناص بوصفه تداخلاً وتفاعلاً بين النصوص، بحيث لا يكون النص منفصلاً أو مغلقاً على ذاته، بل فضاءً مفتوحاً تتلاقى فيه أصوات وأفكار متعددة. وتبرز هنا رؤية جوليا كريستيفا التي تجاوزت التصور البنويي الجامد للنص، لتؤكد انفتاحه على مكونات لغوية وغير لغوية، بما يعكس حيوية المعنى وتعددده.

1 - رولان بارث، تحقيق: منذر عياشي، هسهسة اللغة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، ص80.

2 - المرجع نفسه، ص80.

## 2. مصطلح الخطاب عند العرب والغرب

## أ/ مفهوم الخطاب

الخطاب في القرآن الكريم : لقد ورد الخطاب في كتاب الله بصيغة المصدر وبصيغة الفعل وعلى النحو التالي:

المصدر جاء في قوله تعالى في ثلاثة مواضع قول " الحق " " فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ " <sup>1</sup> "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابِ" <sup>2</sup> وقوله تعالى : " رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا " <sup>3</sup>

كما عرفه معجم الوسيط " إن التنزيل العزيز : واتيناه الحكمة وفصل الخطاب ، وفصل الخطاب أيضا الحكم بالبينة أو اليمين أو الفقه في القضاء أو النطق بأن بعد أو أن يفصل بين الحق والباطل أو هو خطاب لا يكون فيه اختصار مخل ولا إسهاب ممل ، وتاء الخطاب مثل التاء من " أنت " وكاف الخطاب مثل الكاف من لك والخطاب المفتوح خطاب يوجه إلى الأمر علانية " محدثة". <sup>4</sup>

إن لفظ الخطاب قد وردة أكثر ما ورد عن الأصوليين أو علم الأصول انطلاقا من أن الخطاب هو الأرضية التي استقامت عليها أعمالهم ، وهو محور بحثهم ، فمثلا المادي عرف الخطاب تعريفا بيانيا بعد أن ادعى أن التعريف هو المنطق لمعرفة الأحكام الشرعية، إذ يرى أن اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. <sup>5</sup>

كما جاء في "الصحاح" : الخطب سبب الأمر ، تقول مخاطبك ؟ وخطبت على المنبر خطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وخطب بالضم ،خطابة بالفتح ، وصار خطيبا ، وفي المعاجم نجد شيوعا لمادة "الخطاب مع تخلص من حشو المعاني القديمة ونوع من التركيز والدقة، ففي المعجم الوجيز، وردت بمعنى الكلام والرسالة وخاطبة

1- سورة ص ، الآية 23.

2- سورة ص ، الآية 20

3- سورة النبأ ، الآية 37.

4- معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 273.

5- بسام عبد الرحمن المشاقبة ، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب ، ط1 ، دار أسامة الأردن :

2010 ، ص 99 ، 10 .

كالمه، وحادثه، أن اتفاق في المعطى المعجمي السابق يبدوا انفاءها جميعا على انصراف الخطاب إلى معنى الكلام وسمته المواجهة والمشافهة وهو الأصل فيه ،كما يظهر اقترانه بعلوا الشأن والمرتبة والسلطة والنفوذ ، وقد بدا يتنامى استعماله في حقول المعرفة اللغوية العربية، ويشار

هنا خاصة إلى ميداني النحو والبلاغة ، ولقد كان تراكم المتن المعجمي منطلقا لغويا لتأسيس الخطاب في صورته الاصطلاحية نظاما وجهازا معرفيا .<sup>1</sup>

كما يدل الخطاب في " لسان العرب " على مراجعة الكلام ، أي على اللغة التي يستعملها الأفراد في حركية التواصل ، وهو مشتق من فعل خطب الذي من معانيه الشأن والأمر، ومن معانيه أيضا اح وطلب الزواج والمصاهرة والتواصل القرابي، فالخطبة موضوعها المرأة والخطبة موضوعها الرسالة التي لها أول وآخر ، والتواصل بين الجماعات والتفاعل في بينها ، إنما يتم بهما معا، ومن معانيه أخيرا التميز بين الحق والباطل والصدق والكذب.<sup>2</sup>

أما " لالاند Lalande " فقد عرف الخطاب هو : التعبير عن الفكر وتطوره بواسطة متوالية من الكلمات والقضايا المتسلسلة والمترابطة، ومن معانيه في اللسانيات المعاصرة ، الكلام المتبادلة بين الأفراد ، المكونة من متوالية من الوحدات الدالة، أصغرها الجملة.<sup>3</sup> وكذلك عرفه " معجم الدراسات الأدبي : حيث عرفت الخطاب بأنه مجموعة التعبيرات الخاصة والتي تتحدد بوظائفها الاجتماعية و مشروعها الأيديولوجي<sup>4</sup>

كما عرفه " ميشال فوكو (Michel Foucault) على انه شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الخطاب أي أن فوكو يرى أن الخطاب هو عبارة عن شبكة تتكون من مجموعة نظم اجتماعية وسياسية وثقافية

1 - ترجمت أحمد عبد الغفور عطار، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، مج 1، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان : 1990، ص 2

2- بد السلام حيمر في سوسيلوجيا الخطاب \_ من سوسيلوجيا التمثلات إلى سوسيلوجيا الفعل ، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان : 2008 ، ص 13.

3-المرجع نفسه، ص 13.

4-بسام عبد الرحمن المشاقبة، مرجع سبق ذكره ، ص 100.

من شأنها أن تبرز لنا الكيفية التي ينتج فيها الكلام على شكل خطاب عنده هو كلام مرتبط بنظم مختلفة<sup>1</sup>.

إن مصطلح الخطاب، من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطاً لأفراد

مندرجين في سياقات معينة، الخطاب بهذا المعنى لا يحتمل صيغة الأمر الجمع : يقال (الخطاب)، (مجال الخطاب) .. الخ.

وبما أنه يفترض تفضل اللغة مع معايير غير اللغوية فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف<sup>2</sup>.

كما عرف الخطاب : هو الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً يسهم في نسق كلي متحد الخواص، ومن خلال تضافر مجموعة من النصوص المتتابعة تتألف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد.

ب/ مفهوم الخطاب في التراث العربي يتحدد مفهوم الخطاب في الثقافة العربية - بوصفه مصطلحاً

واضح الدلالة - انطلاقاً من القرآن الكريم، واعتماداً على التفسير التي قامت على بعض آياتها<sup>3</sup> حيث يقول تعالى : " فقال أكفنيها وعزني في الخطاب<sup>4</sup> ، ويقول تعالى: " وشددنا ملكه وآتيناها الحكمة وفصل الخطاب<sup>5</sup> . ويمكن القول ابتداءً إن مفهوم الخطاب قد مرّ بأدوار ومراحل من التطور حتى وصل إلى مرتبة المصطلح، بتشكيل نواة دلالية خاصة

1- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ط 1 ، دراسة معجمية ، جدار الكتاب العالمي، عمان الأردن : 2009 ، ص 13 .

2 - دومنيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ت ر محمد يحياتن ، ط 1 ، دار العربية للعلوم تشرون ، لبنان بيروت : 2008 ، ص 38.

3- وردت لفظة الخطاب في الآيات التالية : يقول تعالى: رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً "النبأ ٣٧ ، ووردت في الآيتين المذكورتين في المتن.

4 - القرآن الكريم، ص/٢٣.

5 - السابق، ص/٢٠.

به في الثقافة العربية، وقد اتخذ فهم الخطاب أشكالاً في التراث العربي يمكن تقسيمها على النحو التالي:

### أحادية الدلالة:

يمكن إطلاق تسمية المعنى المعجمي " على المرحلة الأولى من مراحل تطور المفهوم المقصود، حيث لا يبعد المعنى في هذه المرحلة عن الدرجة الصفر<sup>1</sup> للفظ "الخطاب"، فهذا الزمخشري (538) هـ يفسر "فصل الخطاب بقوله إنه: "البيان من الكلام، الملخص، الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه"<sup>2</sup>، وهو الكلام الدال على المقصود بلا التباس"<sup>3</sup> وهذا التفسير يتضمن عناصر الخطاب من مخاطب ومخاطب وخطاب، إلا أنه يقف عند حد التفسير المباشر للفظي الفصل، والخطاب. فالفصل الفاصل الدال على المقصود بلا التباس، والخطاب الكلام. ولا يبعد تفسير ابن عربي (638هـ) عن تفسير الزمخشري، وإن كان يحصر دلالاته في الشريعة بقوله: " وفصل الخطاب الفصاحة المبينة للأحكام أي الحكمة النظرية والعملية والشريعة، وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام المتعلق كان يحصر دلالاته في الشريعة بقوله: " وفصل الخطاب الفصاحة المبينة للأحكام أي الحكمة النظرية والعملية والشريعة، وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام المتعلق بالأحكام"<sup>4</sup>. وكذلك النيسابوري (850هـ) يفسر فصل الخطاب بأنه: " القدرة على ضبط المعاني، والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملاً مكملاً فهما مفهما"<sup>5</sup>.

1- درجة الصفر للكتابة هي: مصطلح نقدي يستخدمه رولان بارت R.Barthes للدلالة على معنى الجذر اللغوي قبل أن يدخله معان جديدة بتعدد مجالات استخدامه انظر: رولان بارت الكتابة في درجة الصفر، ت: نعيم الحمصي، منشورات وزارة الثقافة - دمشق، ط1، 1970.

2- الزمخشري الكشاف، دار الفكر - بيروت، ط1، 1977، ص81-90

3- عبدالله شبر، تفسير القرآن، مراجعة: حامد حفني داود، مطبوعات النجاح، القاهرة، ط. 2، 1966، ص. 428-429.

4- ابن عربي، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: د. مصطفى غالب، المجلد 2، دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت، ط. 2، 1978، ص. 349.

5- النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دون ذكر المحقق، الأجزاء 17-23، دار الكتب - الباني الحلبي، القاهرة، 1962، ص.

ويتضح من التفسيرات والتعريفات السابقة أن كلمة "الفصل" الحقوق محفوظة  
أضافت إلى معنى الخطاب بياناً ووضوحاً وقصدية. الجامعة الار وأما المعاني  
فإنها تشير إلى معان قريبة مما ورد في التفاسير، فعند ابن منظور (711هـ): "الخط  
لاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان"  
1 وعند الجوهري (393هـ): " وخطبت على المنبر خطبة بالضم. وخاطبه بالكلام  
مخاطبة وخطاباً" 2. وأما الزمخشري فيقول: " خطب، خاطبه أحسن الخطاب، وهو  
المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة" 3

ويتضح من هذه التعريفات صلتها بالتفاسير، بل إن بعضها أشار إلى تفسير فصل  
الخطاب كما ورد عند بعض المفسرين، ففي لسان العرب: وفصل الخطاب: قال: هو أن  
يحكم بالبينة أو اليمين؛ وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده؛  
وقيل: فصل الخطاب أما بعد؛ وداود عليه السلام أول من قال: أما بعد؛ وقيل فصل  
الخطاب الفقه في القضاء" 4. ويتضح من هذه التعريفات جميعاً الاتكاء على التفاسير،  
وارتباط التفاسير بالمعنى المعجمي أيضاً، كما أن المعاجم تشير إلى ربط خفي بين الخطاب  
والخطابة بوصف الأخيرة جنساً أدبياً واضح الحدود آنذاك.

### ثنائية الدلالة :

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط. 2، 1993، مادة:  
"خطب".

2 - الجوهري، الصحاح، تح: د. إميل بديع يعقوب، د. محمد نبيل الطريفي، ج 1، دار الكتب العلمية -  
لبنان، ط 1، مادة خ ط ب.

3 - زمخشري، أساس البلاغة تح: د. مزيد نعيم، د. شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1998،  
مادة خ ط ب.

4 - ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط 3،  
1993، مادة خطب

وفي هذه المرحلة يدخل "علم الكلام والخلاف فيه عنصران أساسيان في تشكيل دلالة محايثة للخطاب من جهة، وإضافة معان جديدة إلى كر إبداع الريان حيدة إلى المدلول المعجمي "للخطاب" من

مرادفات جهة أخرى. وذلك بعد أن درج المفهوم، واستخدمه بعض الأصوليين استخداماً . للكلام. ولا بد أولاً من النظر في تعريف اللغويين للكلام، ليحسن من بعد الانطلاق إلى عقد المقارنة والمفارقة بين آراء اللغويين والكلاميين.

يعرف ابن جني (٣٩٢هـ) الكلام بأنه : " كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه"، وهو: " الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها والكلام " واقع على الجمل دون الأحاد" والكلام أيضاً: " عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبيها"<sup>1</sup>

الكلام بأنه: "المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام"<sup>2</sup>. وقد لاحظ عبدالله إبراهيم أن دلالة الكلام عند اللغويين العرب " ترتبط بنظم الألفاظ التي ركبت فيما بينها على وفق سياق من التأليف المخصوص الذي استوفى المعنى المراد، فاستغنت بنفسها دلاليا عن غيرها، كونها قد انطوت على شبكة دلالية خاصة ومتكاملة، الأمر الذي يجعلها تقوم بنفسها، وفيها وحدة مستقلة<sup>3</sup>. وهذا يدل على اقتراب تعريفات اللغويين القدامى من التعريف اللساني الحديث، لمفهوم

إلا أن تعريفاتهم ظلت مركزة على الجملة، ولم تتعدّها إلى سلسلة الجمل المكونة الخطاب الحديث، كما يرى عبدالله إبراهيم . فإذا نظرنا في التفسير الديني للكلام، نجد اتكاء واضحا على المعنى اللغوي، وانطلاقاً إلى تحديد معانٍ أخرى تضيفي دلالات جديدة على الخطاب. فالأمدي (631هـ) ينطلق من تعريف لغوي للكلام حين يعرفه بأنه: "ما تألف من

1 - ابن جني، الخصائص، مج 1، تج: علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952، ص17.

2 - الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط. 1، 1978، ص. 194.

3 - عبدالله إبراهيم، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط. 1، 1999، ص. 100.

كلمتين يحسن السكوت عليه<sup>1</sup> إلا أنه موضع آخر يضيف معنى جديداً بقوله مفهوم إن الكلام: "يطلق على العبارات المفيدة تارة، وعلى معانيها القائمة بالذات أخرى"<sup>2</sup>.

فالعبارات المفيدة هي الجملة التامة، وأما المعاني القائمة بالذات فهذه إشارة جديدة لم ترد عند اللغويين ولا الأصوليين من قبل، ولكن دافع نشأتها الا هو

الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في كلام الله عز وجل. يقول المطهر الحلي (826هـ): "ذهب المسلمون كافة إلى أنه تعالى متكلم، فاختلّفوا في معناه، فعند المعتزلة أنه تعالى أوجد حروفاً وأصواتاً في أجسام دالة على المراد وقالت الأشاعرة إنه متكلم، بمعنى أنه قائم بذاته معنى غير العلم والإرادة وغيرهما من الصفات تدل عليها العبارات وهو الكلام النفساني، وهو عندهم معنى واحد ليس بأمر ولا نهي ولا خبر ولا غير ذلك من أساليب الكلام"<sup>3</sup>. وأهمية الكلام النفسي هنا لا ترد في معرض تأييد نسبته إلى الله عز وجل أو ردّها، وإنما في الدلالة على تحميل العرب القدامى مفهوم الخطاب معاني جديدة، والتأكيد على قدرة المفهوم واتساعه لاحتمال هذه الدلالات.

### تعدد الدلالات:

يتضح مما سبق أن مفهوم الخطاب اقترن بحقل علم الأصول، وأن المعاجم العربية لم تخرج عن المفهوم الديني. أما المفهوم المتأخر للخطاب الذي نبع من جدل الكلاميين، فقد استفاد من تراث المفهوم، وشكل حقلًا دلاليًا خاصاً به، يحايث المعنى الأصلي، ويزيد عليه بما يتوافق ومعطيات الحقل الجديد الذي يستخدم "الخطاب".

وفي هذه المرحلة فإن المفهوم يواصل طريقه، ويتخذ أبعاداً جديدة تقترب به كثيراً من المفهوم الحديث للخطاب، وإن كانت المعضلة الأساسية في استقرار المصطلح واستمراره قائمة تهجير العربي، واستبداله بمدلولات غريبة وغريبة، "وهنا بدأت فيما يخص هذا المفهوم م (الخطاب) تتداخل الأنساق الثقافية الحاملة له، بما يحول ذلك التداخل إلى نوع

<sup>1</sup> - الأمدي، منتهى السؤل في علم الأصول، الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملايوية، مصر، د.ط، د.ت، ص 17.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> - لمطهر الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مكتبة المصطفوي، قم، ط، 1996، ص 223، 224. وللمزيد حول الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة انظر: النيسابوري، تفسير غرائب القرآن، الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الحكمة - دمشق، ط 1، 1994.

من الإقصاء والاستبعاد للشبكة الدلالية الأصلية التي كانت تمثل مفهوم المصطلح، واستبدلت بشبكة دلالية تنتمي إلى نسق ثقافي مختلف، وجرى "ترحيل" أو "استبعاد" للمحتوى الذي نشأ في تضاعيف ثقافة لها شرطها التاريخي، وحل محله محتوى آخر له خصائصه الدلالية التي تكونت في ظرف ثقافي آخر<sup>1</sup>.

إن المهم في هذه المرحلة هو توسيع دلالة "الخطاب"، وتطويرها بالبحث التفصيلي في عناصر حلقة الخطاب كل على حدة، فهذا أبو حامد الغزالي (505 هـ) بعد تعريف الخطاب وذكر عناصره، يضع شروطاً للمخاطب (المتلقي)، وذلك "بأن يخلق الله تعالى في السامع علماً ضرورياً بثلاثة أمور بالمتكلم، وبأن ما سمعه من كلامه، وبمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لا بد وأن تكون معلومة<sup>2</sup> وهذا يكشف عن وعيه المتقدم بأهمية المتلقي بالنسبة للخطاب، وضرورة إشراكه في عملية إنتاج المعنى والدلالة.

وأما الإمام فخر الدين الرازي (606 هـ) فإنه يطرح في تفسيره الكبير فكرة مهمة حول المنازل التي يقطعها النطق أو الكلام حتى يصل إلى مرتبة الخطاب، فيقول في فصل الخطاب: "واعلم أن أجسام هذا العالم ثلاثة أقسام... (وثالثها) الذي يحصل له إدراك وشعور ويحصل عنده قدرة على تعريف غيره الأصول المعلومة له، وذلك هو الإنسان وقدرته على تعريف الغير الأحوال المعلومة عنده بالنطق والخطاب، ثم إن الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير، فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم، بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادراً على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات، وكل ما كانت هذه القدرة أقل، كانت تلك الآثار أضعف<sup>3</sup>. ثم يؤكد هذه الفكرة بقوله: "لأن فصل

الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، ابحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام<sup>4</sup>. المقص وإذا

1 - عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط 1، 1999، ص 102، 103.

2 - الغزالي، المستقصى من علم الأصول، ج 1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط 1، 1997، ص 229.

3 - الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، ص 187.

4 - السابق، ص 188.

كان هذا الكلام للإمام فخر الدين الرازي قد جاء في معرض تفسير فصل الخطاب، إلا أنه مشوب بالمنطق من جهة في التقسيم والترتيب، كما إنه يحمل تصورا تقدماً ودقيقاً للخطاب وتمييزه عن سائر الكلام من جهة أخرى. وإذا كان الخطاب ود بالتفسير هو خطاب الله عز وجل، إلا أن الإمام يطلق هذه القدرة للبشر في أول مرتبة تشكيل خطاب خاص بالمستطيع ذلك منهم ثم إن الخطاب الإلهي - موه وارتقاعه - غير مغلق على البشر " فالحاصل أن الخطاب يجب حمله المعنى الشرعي، ثم العرفي، ثم المعنى اللغوي الحقيقي، ثم المجاز"<sup>1</sup>. يفتح المجال للتأويل والمجاز في سبيل فهم هذا الخطاب.

إن الخطاب في هذا السياق ينطوي على منظومة معرفية واضحة ومحددة تطلق على كل كلام الله عز وجل، وعلى بعض كلام البشر في أعلى مراتبه. وهذه الدلالة يؤكدتها ابن رشد بقوله: "وإذا كان سبيل تلقي الأحكام الخطاب الوارد، وذلك في جميع أصنافه التي عددت من لفظ أو قرينة. وما كان سبيل المعرفة به الخطاب، فثم لاشك حكم متعين، وهو الذي تعلق به الخطاب .<sup>2</sup> فالخطاب عند ابن رشد كما عند الفخر الرازي مقولة لا بد أن تنطوي على حكم متعين واضح القصد والدلالة.

ونجد جماع هذه التعريفات المتفرقة عند الكفوي (1094 هـ) الذي يحدد الخطاب لفظاً ودلالة بقوله: الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. احترز "باللفظ" عن الحركات، والإشارات المفهومة بالمواضعة"، "وبالمتواضع عليه" عن الألفاظ المهملة، وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا خطاباً، ويقول "لمن هو متهيئ لفهمه عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم"،<sup>3</sup> فالكفوي في هذا التعريف يضع الحدود كاملة لعناصر حلقة الخطاب، كما يورد الشروط اللازمة لكل عنصر من أصرها الثلاث، فالمخاطب لا بد من توفر قصد الإفهام لديه وإيصال الرسالة، والخطاب يجب أن يكون مما تواضع الناس عليه، وأما المخاطب أو المستمع فلا بد أن يكون متهيئاً للفهم مستجيباً للخطاب وصاحبه.

<sup>1</sup> - الفخر الرازي، المحصول في علم الأصول، تعليق: محمد عبد القادر عطا، ج 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1999، ص 156.

<sup>2</sup> - جيرار جهامي، موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 2000، ص 139.

<sup>3</sup> - الكفوي، الكليات القسم الثاني، تج. عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1982، ص 286.

إن الخطاب عند الكفري لا ينحصر في دلالاته الظاهرة، إذ لا بد من أخذ المعنى القائم بالنفس بالحسبان، فهو يواصل "قائلاً: والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع، وعلى مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام"<sup>1</sup> وهذا يحيل مرة أخرى على الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة المراد من كلام الله عز وجل، ويفصل الحديث في الخلاف في "كلياته"، ويضع الأدلة على تأييده نسبة الكلام النفسي الله عز وجل. ويذكر للخطاب الإلهي أنواعاً وأشكالاً<sup>2</sup>

أما التهانوي (1158هـ) فإنه لا يزيد عما أورده الكفوي من نظرات في المصطلح، وتفصيلاً لعناصره، ولكنه يطرح قضية غاية في الأهمية، حين يشير في كتابه "كشاف اصطلاحات الفنون إلى استقرار المصطلح كما ورد عنده وعند الكفوي إلى القرن الهجري، ذلك أن كلامه الذي يعدّ إعادة وتكراراً لما أورده الكفوي هو خلاصة ما في العضدي وحاشيته للسيد الشريف<sup>3</sup>. والسيد الشريف توفي عام 618هـ)<sup>4</sup>، مما يؤكد كتابته لحاشيته قبل هذا التاريخ، وفي هذه الحاشية أكد على مفهوم الخطاب، واستقراره، وأحوال استخدامه عند الأصوليين واللغويين.

لقد تطور مفهوم الخطاب عند العرب القدامى ليستوي موضوعاً مستقلاً، بل إن العرب "حاولوا أن يطوروا نظرية في النص خدمة لأداء المعنى ودر استه، وهذا يعني أنهم قد تجاوزوا المفهوم اللفظي للكلام، والمفهوم الجملي، ليستقر عندهم أن المتكلم، في تعبيره عن حاجاته، لا يتكلم بألفاظ، ولا بجمل، ولكن من خلال نص. فالتسعت بهذا أمامهم البحث الدلالي. وانتقلوا من البحث في مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب"<sup>5</sup>

1 - السابق، ص 286، 287.

2 - يقول الكفوي: "والخطاب نوعان: تكليفي: وهو المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير. ووضعي: وهو الخطاب بأن هذا سبب ذلك أو شرطه كالدلوك سبب للصلاة، والوضوء شرط لها كما يذكر أشكال الخطاب فهناك خطاب الله المتعلق بذاته العلية، وبفعله، وبالجمادات، وبذوات المكلفين، وكل خطاب في القرآن بـ (قل)

3 - التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 5، 6.

4 - هو محمد بن علي السيد أبو الحسن الحسيني الجرجاني الإستربادي الشهير بالسيد الشريف.

5 - منذر عياشي، اللسانيات والدلالة "الكلمة"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1996، ص 7..

إلا أن مفهوم الخطاب في النقد العربي الحديث ليس امتداداً وتطويراً للمفهوم القديم، إذ ظلت النواة العربية القديمة للمفهوم محصورة في إطارها دون رعاية أو تطوير، واستبدل النقاد العرب المحدثون بها المفهوم الغربي، فمفهوم الخطاب "مصطلح واضح الدلالة في الأصول، ولا يثير فيها دلالة وممارسة أية إشكالية، إنما تكمن الإشكالية الأساسية في اجتذابه القسري خارج حقله، وشحنه بدلالات غريبة عنه، وذلك بتأثير مباشر من المحمول الدلالي" لمصطلح الخطاب Discourse الذي تغلغل في ثنايا الشبكة الدلالية لمصطلح الخطاب "العربي"، وقوضه، أو كاد، من الداخل، بحجة "تحديث" دلالة المصطلح من جهة، وما تقتضيه الثقافة الحديثة من جهة أخرى<sup>1</sup>

### ج/ مفهوم الخطاب في التراث الغربي

إذا كان أصل مفهوم "الخطاب" في التراث العربي، ومصدر نشوئه دينياً أصولياً، فإنه في التراث الغربي فلسفي، كان وما يزال حتى اليوم - مع تطور الحقل المعرفية وتشعبها - يرتد ويتصل بذلك الأصل الفلسفي، على الرغم من تحول المفهوم وتغير معناه، وتبدل وظيفته وأهميته. حيث يلاحظ أن المفهوم العربي اليوم للخطاب يكاد ينقطع عن موروثه - إن لم ينقطع تماماً - فيما المفهوم الغربي للخطاب يتصل بموروثه بروابط وشيجة، وعلّة ذلك أن النقد العربي الحديث يتكئ على النقد الغربي، وينقل مفاهيم تتصل بذلك الموروث لا بالموروث العربي "إنما سنجد أن الخطاب الثقافي العربي" قد غلب "المحمولات الغربية" لمصطلحي الخطاب، والنص، وتخلص أو كاد يتخلص من "المحمولات العربية" لهما، كما تكونا في الأصول، وهو أمر يمكن وصفه بأنه "إقصاء" اصطلاحياً لمعظم ما يتصل بجهاز المفاهيم المستعمل الآن في الثقافة العربية الحديثة.<sup>2</sup>

إن مفهوم الخطاب يظهر أول ما يظهر عند أفلاطون " فمع أفلاطون، حيث يتماثل المقال ( المقال )<sup>3</sup> مع العقل (لوغوس) بذلت أول محاولة لصحة

المقال وعقلنته وبناء منطقته على قواعد تستمد من داخل المقال نفسه أكثر مما تستمد من أصل خرافي أو وضعي يفرض بداهته على المقال".<sup>1</sup>

1 - عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1999، ص 102.

2 - عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1999، ص 117.

3 -المقال هنا يقابل الخطاب عند معن زيادة في الموسوعة الفلسفية العربية.

وفي عصر النهضة يأتي كتاب رينيه ديكارت R. Descart "خطاب في المنهج" ليشكل علامة هذا العصر البارزة، فقد أراد ديكارت أن يتجاوز رجال الكنيسة ويسمع صوته لعامة المثقفين<sup>2</sup>. وأهمية كتاب ديكارت تكمن في كونه تأسيساً للخطاب، أكثر مما هو تفسير وتحديد للمفهوم ذاته.

أما ظهور مفهوم الخطاب واتخاذ أبعاداً إبستمولوجية مستقلة فقد ارتبط بظهور مؤلفات ميشيل فوكو M.Foucault، ذلك أن رؤيته العميقة المحددة للخطاب، وعلاقته بالمجتمع تعد من أهم الموجّهات للثقافة العربية الحديثة، إذ أنه "يقف عند الحدود التي صنعت منذ مطلع القرن السابع عشر عقلانية الحضارة الحديثة"<sup>3</sup>.

وقد بحث الخطاب بوصفه مفهوماً مرتبطاً بالإنسان ومؤسساته، "إن الخطاب لم يعد طريقة للتعبير أو حديثاً متساوقاً، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تحليلاً لذات واعية، تتأمل وتعبر وتعبر، وإنما أصبح إمكاناً وشرط وجود ونظاماً. أصبح حقلاً تتمفصل فيه الذات، ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزاً له. وهذا التحول الإبستمولوجي في تناول أقاويل البشر يعتبر رائده المفكر الفرنسي ميشال فوكو الذي هو أول من أنشأ نظرية في وصف المقال كميدان مستقل"<sup>4</sup>.

كما ارتبط الخطاب عند فوكو بالفلسفة والمنطق فهو عملية "عقلية منظمة تنظيمياً منطقياً، أو عملية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية، أو تعبير عن الفكر بواسطة الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض"<sup>5</sup> ويعرف فوكو الخطاب بأنه هو أحياناً يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات (Enonces) وأحياناً أخرى

<sup>1</sup> - معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط 1، 1986، ص 771.

<sup>2</sup> - عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 1999، ص 598..

<sup>3</sup> - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1987، ص 432.

<sup>4</sup> - علي حرب، الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، معهد الإنماء العربي، ط 1، 1986، ص 1771، مادة: مقال.

<sup>5</sup> - جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج 1، دار الكتاب اللبناني بيروت، ودار الكتاب المصري القاهرة، ط 1، 1978، ص 204.

مجموعة متميزة من المنطوقات، وأحياناً ثالثة ممارسة لها قواعدها، تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها"<sup>1</sup>

ويعرفه في موضع آخر بقوله: "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلية الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شرط وجودها"<sup>2</sup>

ويركز فوكو Foucault في تعريفاته على المنطوق وهو أبسط أجزاء الخطاب، يقول: "لقد استخدمت في مناسبات عديدة لفظ منطوق، إما لأشير به لعدد من المنطوقات... أو لأميزه عن تلك المجموعات التي أسميها الخطابات (مثل ما يتجزأ الجزء عن الكل) ويبدو المنطوق وهلة كعنصر أخير، أو جزء لا يتجزأ، قابل لأن يستقل بذاته، ويقيم علاقات مع عناصر أخرى مشابهة له... المنطوق أبسط جزء في الخطاب"<sup>3</sup>

وفوكو Foucault يشكك في موضوعية تجنيس ضروب المعرفة التقليدية، ويطبق مقولته بالنظرية الراجعة لحقول الخطاب في عصر النهضة، والعصر الكلاسيكي، والقرن التاسع عشر. "ولعل أول ما يخضعه الفيلسوف لمبادئ طريقته الإجرائية في القطع والحد والكشف عن الدرجات والمستويات وعوامل التبديل والتحويل في ظاهرة تقسيم الأنواع الكبرى الفكرية في الغرب بين أشكال وأجناس حددت لنا ما نعرفه ونألفه تحت مسميات الأدب أو الفلسفة أو التاريخ أو الخيال"<sup>4</sup>

وأما هدف ميشال فوكو Foucault وراء تحليل الخطاب فيقول عنه عبدالله إبراهيم إنه ".. يعني بالعبارة بوصفها شيئاً قائماً بذاته، لا تحيل على شيء آخر، إنما كونها تتصف

<sup>1</sup> - ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1968، ص 78.

<sup>2</sup> - مرجع السابق، ص 111.

<sup>3</sup> - ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1968، ص 78.

<sup>4</sup> - محمد علي الكردي، الخطاب والسلطة عند ميشال فوكو، فصول، مج 11، ع 1، 1992، ص 40.

بذاتها الآن لا بغيرها، والتحليل هنا ينص على ضروب الترابط بين العبارة، وما يتصل بها من عبارات أخرى، وصولاً إلى تحديد نظام الخطاب كله<sup>1</sup>

كما أن فوكو Foucault خلال عمله على تحليل الخطاب كان يهدف إلى اكتشاف هيكلية وبنائية الخطاب، وصولاً إلى الأسس التي تحركه إن محاولة فاكولت (فوكو) بالتركيز على السبب الرئيسي لدراسة وتحليل الخطاب هي ببساطة ليس لكشف أساس وحقيقة الحديث، ولكن على الأصح لاكتشاف الدعم أو الدعامة الميكانيكية التي تحفظه في مكانه. وهذه الدعامة التي توجد في الحقيقة لاكتشاف نفسها، وأيضاً اكتشاف ما وراء المنطقية، وذلك بمعنى أنها تكون دعماً اجتماعياً ثقافياً<sup>2</sup>

وعن علاقة الخطاب بالسلطة والمعرفة يقول فوكو Foucault قفي الخطاب بالذات، يحدث أن تتم فصل السلطة والمعرفة ، ولهذا السبب عينه، ينبغي أن نتصور الخطاب كمجموعة أجزاء غير متصلة وظيفتها التكتيكية غير متماثلة ولا ثابتة بصورة أدق يجب أن لا نتخيل عالماً لخطاب مقسماً بين الخطاب المقبول والخطاب المرفوض، بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في استراتيجيات مختلفة: الخطاب ينقل السلطة وينتجها، يقويها، ولكنه أيضاً يلغنها يفجرها، يجعلها هزيلة، بإلغائها<sup>3</sup>. وفوكو Foucault هنا ويسمح لا يفصل بين الخطاب وسلطة الخطاب. "إن الفصل الذي يمكن الحديث عنه هو فصل منهجي، ولكن في إطار نظرة تكاملية تناقش الخطاب في مختلف مستوياته اللغوية والمعرفية والسياسية والأخلاقية، مستويات تعكس مفهومه وامتداداته وعلاقاته بحقول وممارسات معرفية وسلطوية وأخلاقية، وهو ما يشير إليه فوكو في إرادة المعرفة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1999، ص 104.

<sup>2</sup> - ساراميلز، مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، ترجمة: عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 2003، ص 71.

<sup>3</sup> - ميشال فوكو، إرادة المعرفة، ترجمة: جورج أبي صالح، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط 1، 1990، ص 108، 109.

<sup>4</sup> - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2000، ص 133.

إن الخطاب عند ميشيل فوكو Foucault يشكل سلطة، وينقل هذه السلطة وينتجها ويقويها ويلغنها ويفجرها، ويمكن أن يجعلها هزيلة ويسمح بإلغائها - على حد قوله - كما يلعب دوراً أساسياً . مماثلاً بالنسبة للخطابات الأخرى. إذ إن هذا الكأداء الرسائين الحذر الخطاب قد يقوم بالنسبة لها، بدور "النموذج الصوري" الذي تحاول أن تطبقه في حقولها الدلالية المختلفة، وقد يكون على العكس، نموذجاً معبراً عن خطابات أكثر تعميمياً وتجريداً منه، وقد يكون مرتبطاً بعلاقة بارزة من التشابه أو التعارض مع خطابات أخرى في مجال بعيد نسبياً<sup>1</sup>.

وإذا كان للخطاب سلطة يمارسها على ما حوله من مجتمع وبشر ومؤسسات فإنه أيضاً - الخطاب - انعكاس لسلطة، والخطاب أحد عناصر السلطة، كما أن السلطة تعمل من خلال الخطاب. "إن التحليلات التي يقوم بها فوكو لا تناقش الخطاب انطلاقاً، الذات أو المؤلف أو الفاعل، ولكنها تختبر مختلف الأدوار أو الوظائف التي يقوم بها الخطاب، داخل نظام استراتيجي أو سلطوي. ينتج عن هذا أن السلطة ليست خارج الخطاب، ولكن هذا لا يعني أن السلطة مصدر أو أصل الخطاب. بل إن السلطة تعمل من خلال الخطاب، ما دام الخطاب ذاته يشكل أحد عناصر الجاهزية الاستراتيجية لعلاقات السلطة<sup>2</sup>

كما يتحدث فوكو Foucault عن العلاقة بين الخطاب، والذات، موضحاً أن الذات تنشئ الخطاب، ولكن الخطاب يكشف الذات ويبعثرها. يقول: وبدلاً من أن يعمل التحليل الذي نقترحه هنا، على إحالة مختلف صيغ التعبير على التركيب، أو الوظيفة الموحدة للذات، فإنه يجعل تلك الصيغ نفسها تكشف عن تبعثر الذات كما يحيل الذات إلى مختلف الأوضاع والمواقف التي تشغلها عندما تتلفظ بخطابها.<sup>3</sup>

إن العناصر التي يطرحها فوكو Foucault على أنها أطراف في تشكيل الخطاب وتلقيه، لا يعد أحدها منتجاً والآخر مستهلكاً، وإنما هي أطراف تشترك معا في إنتاج

<sup>1</sup> - محمد علي الكردي، الخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو، فصول، مج 11، ع 1، 1992، ص 38.

<sup>2</sup> - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2000، ص 247.

<sup>3</sup> - ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1986، ص 53.

الخطاب وتلقيه في عملية تبادلية، إذ لا تعود مرجعية الخطاب الخطاب إلى الذات أو إلى المؤسسة أو إلى الصدق أو إلى قواعد البناء النحوي، وإنما إلى الممارسة. الممارسة الخطابية وغير الخطابية، على أن لا نفهم العلاقة بين الممارسات على أساس السبب والنتيجة، وإنما على أساس العلاقة التبادلية.

لم يكن فوكو Foucault ألسنيا، وكان يرفض إدراجه ضمن النقاد البنيويين، وإنما كان عمله فلسفياً بالدرجة الأولى، ويبحث في قوانين تكوين مفهوم الخطاب وتحويله وتلقيه، وهو ما كشف عن سلطة الخطاب وقدرته، وفي الوقت ذاته كشف عن الآليات التي تحكم إنتاجه، وتحدّ سلطته أيضاً. وإذا كان ثمة علاقة يمكن افتراضها بين ما قدمه فوكو في أعماله حول الخطاب، وبين موضوع الدراسة فلعلها تتمثل في كون اللغة أحد عناصر تمثيل الخطاب. "إن بنية الثقافة، بممارستها النظرية والتحليلية، وبالفاعل الذي ينهض بها وهو الإنسان، تتمثل خطابياً، وعليه، فالخطاب هو ميدان التحليل، والخطاب ضرب من تضافر الإشارات تكون اللغة فيه عنصراً تمثيلاً بين عناصر إشارية أخرى"<sup>1</sup>

لقد كان الخطاب في التاريخ هو مدخل ميشيل فوكو Foucault لمعالجة جملة من الموضوعات السياسية والمعرفية واللغوية. إن إدخال البعد التاريخي، في تحليل الخطاب هو يميز طريقة فوكو مقارنة بالتأويل أو التحليل، وهو ما يجعل من الأنطولوجيا التاريخية، فلسفة تتكون من الموضوعات الفلسفية التي تشكل أي فلسفة من الفلسفات، ونعني بذلك أنها فلسفة لغوية، ما دامت اعتمدت على اللغة والخطاب، لمناقشة مختلف موضوعاتها، وفلسفة علوم، مادامت قد ناقشت مشكلة المعرفة، ومختلف الممارسات الخطابية ذات العلاقة بالمعرفة والعلم، وفلسفة سياسية، مادامت قد طرحت مفهوم السلطة، كمفهوم بديل، للتمثيل السياسي القائم على القانون أو الهياكل، وهي أخيراً، فلسفة أخلاقية جمالية، مادامت تحدد مختلف تجارب الذات، سواءً من الناحية الأخلاقية أو الجمالية<sup>2</sup> إن التاريخ هنا يشكل إطاراً

1 - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2000، ص 143.

2 - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2000، ص 364.

يمكن تحديد المفاهيم بوساطته ذلك أن الخطاب لا يكون له معنى أو حقيقة فقط بل هو أيضا ذو تاريخ، وتاريخ نوعي، يجعله لا يخضع لمعايير أو قوانين مصير غريب عنه<sup>1</sup>

إن جهد ميشيل فوكو Foucault في تعريف الخطاب وتحديد آليات تحليله وتمثيله للسلطة والمجتمع غير مسبوق بما يوازيه قيمة وأهمية بل إنه شكل أساساً ضرورياً للفلسفة وغير الفلسفة في كافة مجالات المعرفة الإنسانية. وإذا كان مجموع أعماله لا يتوجه إلى الأدب بشكل خاص، إلا أنه اهتم باللغة كونها عنصراً من عناصر تمثيل الخطاب - كما أسلفنا.

---

<sup>1</sup> - ميشال فوكو، *حفريات المعرفة*، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1986، ص 122.

## 3. اللسانيات الخطاب نشأة والتطور.

يقصد بلسانيات النَّصّ ذلك الاتجاه اللغوي الذي يُعنى بدراسة نسيج النصّ انتظاماً واتساقاً وانسجاماً، ويهتم بكيفية بناء النَّصّ وتركيبه . بمعنى أنّ لسانيات النصّ تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في بناء النَّصّ .وتأويله. أضف إلى ذلك أنّ هذه اللسانيات تتجاوز الجملة إلى دراسة النَّصّ الخطاب<sup>1</sup>، ومن هنا فلسانيات النَّصّ ( Text - Linguistics) هو فرع من فروع علم اللسانيات ((Linguistique/Linguistics، ويتعامل مع النصّ باعتباره نظاماً للتواصل والإبلاغ السياقي. وفي هذا، يقول: فان ديك (van dijk) "إنّ كل خطاب مرتبط على وجه الاطراد بالفعل التواصل<sup>2</sup> أي أنّ التواصل هو مصدر الخطاب. والمتتبع لمسار لسانيات النصّ أو الخطاب يجد لها تاريخاً في الدراسات الغربية، وقبل الخوض في غمار التأسيس، يجدر بنا التذكير بأنّ الباحثين في هذا العلم عجزوا عن نسبة هذا العلم إلى عالم مُعَيّن، أو حصره ببلد أو بمدرسة لغوية محددة؛ وذلك لتعدّد مناهجه واتخاذها مسارات متباينة في بلدان مختلفة<sup>3</sup>

وتشير الدراسات أنّ هناك عملاً مبكراً في هذا المجال لـ (فايل) سنة (1887م) إذ علّق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، ويشار كذلك إلى دراسة الباحثة الأمريكية ناي (Nyel) في السنة ذاتها والتي بحثت فيها علامات عدم الاكتمال والتكرار بناء على أسس نصية).<sup>4</sup>

كما ظهرت محاولات أخرى لسانيات النَّصّ منذ صدور كتاب الحكايات الروسية (العجيبة لمؤلفه فلاديمير بروب (V.propp) سنة 1928م، حيث قدّم أوّل دراسة تحليلية لمقاطع الحكاية بغية تحديد الوظائف السردية، وتبيان عواملها وشخصها النحوية. بمعنى أنه اهتم بالتنظيم المقطعي. أي تقسيم كل حكاية إلى مقاطع ومتواليات سردية، أي وحدات وفقرات ومقاطع وظيفية<sup>5</sup> كما يرى آخرون أنّ البدايات الفعلية لنحو النَّصّ أو لسانيات الخطاب أو

1 - جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النَّصّ، الألوكة، ط 1 ، 2015م، ص 17.

2 - المرجع : نفسه، ص.18

3 - خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، ط1، 2013م، ص 44.

4- نفس المرجع ، نفس الصفحة .

5 - محاضرات في لسانيات النصّ، ص21.

النصّ كانت على يد زيلج هاريس ( zellig harris) في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك في دراسة<sup>1</sup> لسانية سنة 1952 بمقال له عنوانه "الخطاب"، حيث حل فيه إعلانا يخص مقوّي للشعر حذف من الاسم الإشهاري وشرع في البحث عن القواعد النحوية لتفسير كيفية تتابع الجمل، وما حرص<sup>2</sup> ( عليه أيضا هاريس الأمريكي في كتابه تحليل الخطاب، بالرغم من كونه معنيا بدراسة الجملة وتوظيف مكوناتها إلا أنه حث على ضرورة دراسة العلاقات النحوية بين الجمل وبذلك أعد النحو التوليدي سببا في<sup>3</sup> نشأة اللسانيات النصية، والانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل، في بنية أكبر يمثلها النصّ هذا المقال: دفع اللسانيون إلى إعادة النظر في النظريات اللسانية المتعلقة بفهم الخطاب/ النص وتفسيره، فتجاوزت الدراسات حدود الجملة لتبحث عن العلاقات الرابطة بين الجمل على مستوى النصوص وربطها بالموقف الاجتماعي، ولهذا رأى باحثين أن الدراسات اللسانية توقفت عند الجملة المركبة، ولكن يمكن مواصلة هذا التحليل اللساني<sup>4</sup> الدقيق ويتجاوز إلى البنى الشاملة للنصّ، وإذا كان هاريس قد أسهم نوعا ما في تطوير لسانيات النصّ، فكانت بعده دراسة دل هيمنز (dell hymes) 1960، الذي ركّز على أهمية السياق الاجتماعي للنصّ.

ظلت الدراسة النصية حتى سنة 1976 مجرد نظرات في كتب وأطروحات علماء اللغة والأسلوبيين عندما ظهر كتاب الاتساق في اللغة الانجليزية *cohesion in english* لهالدي ورقية حسن، وهو كتاب<sup>5</sup> يتألف من مدخل حددت فيه مجموعة من المفاهيم مثل: النصّ والنصية، والاتساق، وخصصت باقي الفصول لبحث مظاهر الاتساق مثل: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي، ثم ختم بفصل تطبيقي لما ورد من مبادئ في المباحث السابقة. فكان اهتمام هذين الباحثين في كيفية حدوث الاتساق وأدواته

1 - الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص44.

2 - د. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 1434/2013، ص 184.

3 - د. نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص15.

4 - د. خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 184

5 - الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 45.

في النَّصِّ، أي التي يتماسك بها النَّصُّ أي أن النص لا يعد كذلك ما لم تكن أجزاؤه متماسكة.

ثم يأتي في سنة 1977 مؤلّف آخر يعد كذلك نقلة نوعية في دراسات نحو النص وهو كتاب النص والسياق (text and context) لتون فان دايك (van dijk) إذ يهدف الكاتب من مؤلفه هذا إنشاء مقارنة أكثر وضوحا وتنظيما للدراسات اللسانية للخطاب .. ففي مقدمة كتابه هناك تطلعات لبناء نظرية لسانية<sup>1</sup> للخطاب التي تستطيع تحليل وتفسير كثير من المظاهر الخطابية التي تقف لسانيات الجملة عاجزة أمامها ومن هذه المظاهر موضوع الخطاب، الانسجام، البنية الكلية ... إلخ، وإن كانت دقة فتكون موجودة في مستوى الدلالة والتداول<sup>2</sup>، حيث طوّر فان ديك في المؤلف المذكور آراءه وأطروحاته وكان قد صاغها في مؤلف سابق (1972- some aspects of text grammars) وكان هدفه الأساسي من وضع المؤلف الثاني 1977 هو إنشاء مقارنة أكثر وضوحا وتنظيما للدراسة اللسانية للخطاب. ينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: دلالي ويتدرج تحته كل من الترابط، والانسجام، والبنىات الكلية، أما القسم الثاني، فهو التداول ويندرج تحته السياقات، وتداوليات الخطاب، والأفعال الكلامية، وعلى هذا النحو حرص فان ديك على ضرورة<sup>3</sup> رعاية الارتباط المنطقي في البحث عن اتساق النصوص وانسجامها.

وإن كان قد ركز في مقدمته على بناء نظرية لسانية للخطاب فنجده قد مهد في الفصل الأول بالأغراض البحث وأهدافه وبين اهتمام النظرية اللسانية وموضوع بحثها فقال: "إنّ النظرية اللسانية

1 - الترابط النَّصِّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 45.

2 - محمد خطابي، لسانيات النَّصِّ مدخل إلى انسجام النص، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص 27.

3 - د. نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، ص 15.

تهتم بأنساق اللغة الطبيعية أعني تراكيبها المتحققة أو الممكنة التحقق، وبتطورها التاريخي وبمختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعة وأسسها المعرفية<sup>1</sup> ثم يعدد المجالات والعلوم التي لا بد من<sup>1</sup>

حضورها في الدرس اللساني في أثناء تحليل الخطاب وأنه لا يمكن حصره في علوم اللغة، والنحو، بل هناك قواعد مثل شروط الدلالة، والمرجع، والتأويل، كل تلك الأمور محل اهتمام تحليل الخطاب اللساني.

إن فان دايك يستعير ويأخذ أدواته من وسائل المقاربة من مجالات مختلفة مثل: الفلسفة، والمنطق الفلسفي، وعلم النفس المعرفي، ويبدو<sup>2</sup> تأثير هذه المجالات جليا في معالجته لبعض الخطابات المدروسة ويلجأ إلى الصياغة المنطقية أو القيود التي تحكم مظاهر الخطاب، فهذه الأشياء أطرت ونظمت عمل فان داك في مؤلفه "النص والسياق".

إن فان داك ونظرته إلى النسيج الداخلي المتشابه للنص من المنظور النحوي، أعطت انطبعا، واعتضت على يسمى بالنحو<sup>3</sup> التقليدي في كتابه جوانب من علم نحو النص (1972) (aspects of text grammars) من حيث أنه لا يلي مقتضيات دراسة النص الأدبي والشعري، ودعا إلى إتباع طرق جديدة في تحليل المستويات الصوتية والتركيبية، والدلالية للنص، منها الوقوف على ما يعتريه من إضافة أو حذف أو ذكر أو استبدال. وبهذا يكون فان داك قد خرج لبنية الصغرى ممثلة بالجملة إلى بنية أكبر مكونة من جملة متصلة طويلة تؤلف وحدة معنوية هي النص، وأفاد من الملاحظات والآراء التي من شأنها أن تحدد لنا طبيعة الدور الذي يقوم به النحو في هذا النوع الدرس النقدي في كتابه النص والسياق (1977)<sup>4</sup> (text and context)

<sup>1</sup> - الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 46.

<sup>2</sup> - لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ص 28.

<sup>3</sup> - د. إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ - 2007م، ص 195.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 195.

الذي وضح فيه مقاصد اللسانيات بصفة عامة ومن ثم فإنّ هدف النحو هو إعادة بناء هذه القواعد النسقية نظريا، أما عمليا فالهدف يكون بتحديد الأقوال المقبولة، ومن ثم اهتمام النحو بالصياغة البنيات المجردة للأقوال صوتيا وتركيبيا أي بالمستويات وما إنّ لم يهتم النحو بالمعنى فإنّه يظل ناقصا، ولتجاوز هذا النقص لابد أن يحدد النحو "بنية المعنى المرتبطة بهذه الأشكال"، ومن هذا كله يخلص فان ديك إلى أنّ النّحو يمكن أن يوصف، انطلاقا<sup>1</sup> من المهام والأهداف بأنه "نسق نظري من قواعد الصورة والمعنى"، وما لم يثبتته فان دايك في عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة غير أنّ ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة، أو التقليل من قيمتها<sup>2</sup>، أو التشكيك في صحتها، بل إنّ الأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النّصّ يمكن بعدم إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين أن يتغير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة، إذ أنّه لم يعد ينظر إليها وحدة أساسية للوصف النّحوي، بل عدّ النّصّ بأكمله وحدة أساسية استوجب تحولا في المعايير كما يظن ذلك، بل يرى أنّ هذا الإطار الموسع يدفع على تغير كيني في إطار حرص فان ديك على تكوينه، وقد ميزه وخصه بمصطلح نحو النّصّ أو نحو الخطاب<sup>3</sup>.

وبناء على هذا فقد وقف النّحو عند الجملة أو البنية الصغرى لدراسة قواعد تركيبها، ووصله هذه البنية بالبنية الدلالية، ولم يتوقف أمام النّصّ، ليدرسه بصفة شاملة، وعلى هذا فإنّه يقف عاجزا عند الجملة التي يصفها لنا وصفا دقيقا، بالجملة التي تليها. وقد لاحظ فان ديك أنّ الجملة تركيب شديد التعقيد، فهو يستمد حضوره من وجوده إلى جانب جمل<sup>4</sup> أخرى، وتراكيب أخرى، ولهذا فإنّ وصف الكلام بالوقوف عند الجملة الواحدة حسب وصف غير كاف. ولابد من الانتقال إلى وحدة أخرى هي النص. وما نخلص إليه من بحث فان ديك في التنظيم النصي للسانيات الخطاب هو اعتماده على النحو الذي يخدم لنا الجملة التي تدخل

1 - لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ص28.

2 د. سعيد حسن بحيري : علم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات مؤسسة المختار، ط2، 1431/2010، ص 245.

3 -المرجع نفسه ، 245.

4 - اللسانيات ونحو النص، ص196.

ضمن نص، وهذا النص هو الخطاب نفسه أي مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية التي تتجز فيها، فيهدف فان ديك بهذا التجاوز، أي تجاوز الجملة إلى وحدة الخطاب<sup>1</sup>. وفي الأخير إذا كانت دراسة فان ديك حول التنظيم النصي أشد تنظيمًا، وتأسيسها، فكانت هناك أيضا محاولات أخرى ولكنها لم تتسم بالتنظيم فقط محاولات، فبعد هاريس وفان ديك وهالدي وحسن رقية يوجد دوبيو جراند ( de beaugrands ووفولفغانغ دريسر<sup>2</sup> walfgang ubrick dressler) في كتابها مدخل إلى لسانيات النصّ؛ وبراون وجورج بول في كتابهما (تحليل الخطاب)؛ وويرليخ ( werlich) في كتابه (في نحو النصّ الانجليزي)؛ وروجو فاوولر ( rager fawber) في كتابه (لغة الأخبار الخطاب) والإيديولوجيا في الصحافة؛ وغيرهم كثير وظلت تراوح مكانها إلى أن جاءت في عقد الثمانينيات من القرن الماضي، أخذت الدراسات النصية تتحو منحى جديدا وذلك على يد روبرت دي بوجراند في كتابه (النص والخطاب والإجراء)<sup>3</sup>

إذ ركز علم النص على النواحي الاتصالية للعملية اللغوية الإجرائية، فهو يرى أن معالجة اللغة لها جانبان أساسيان الدرس والاستعمال، وهذا الجزء الثاني هو محال بحث علم النص ومن هنا كان الاهتمام بالنواحي الإجرائية للنصوص أي التركيز على النصّ كإجراء في عملية اتصالية حية وهو . تعرض له في مقدمة كتابه حيث قال: "... محاولات أن أحدد حقل دراسات النص وأضع له الخطوات العامة، وكان للكاتب في مؤلفه أيضا في الفصل الأول ما كان متاحا فيما يتعلق بالإمكانات النصية، وتوظيفها في العملية الاتصالية وبعد مقارنة بين النصّ والجملة والانتقال من الجملة<sup>4</sup> إلى النص في التحليل اللغوي، ويذكر أشكال الترابط النصي وأولها الترابط التركيبي أي الوصفي، والترابط الدلالي المفهومي وذلك لأنّ العملية الاتصالية تقوم على النواحي الدلالية المفهومية أكثر من النواحي التركيبية، والكاتب لم يكتف بتقديم منهجية تحليل وتناول الخطاب اللغوي نحو النصّ أو التحليل النصي، بل كيفية توظيف هذا التحليل في مشروع التربية، إذ ذكر عيوب ومآخذ لها مقترحا حلولا،

1 - لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام النص، ص 29.

2 - محاضرات في لسانيات النص، ص46.

3 - الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص46.

4- المرجع نفسه، ص46.

واقترح في هذا المقام توظيف التحليل النصي، وفي الأخير ذكر لنا أن علم النص<sup>1</sup> مع التربية لا يمكن أن يتم التقاطع بينهما إلا بوساطة خطاب حسن التنظيم، وينبغي لعلم النص أن يهيئ معايير واضحة صالحة للتطبيق من أجل إنتاج النصوص المستعملة في التعلم، وعلى هذا العموم فالدراسات الغربية للسانيات النص اتسمت بالتنظير المحكم لهذا العلم والخروج من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص47.

## 4. التراث البلاغي القديم: قراءة في المنجز

إن العودة إلى التراث البلاغي العربي ليست مجرد استعادة للماضي، بل تمثل ضرورة لفهم الجذور التي أسست لظهور العديد من المفاهيم التي تتقاطع اليوم مع ما يُعرف بـ"لسانيات الخطاب". لقد أبدع علماء البلاغة واللغة في الحضارة العربية الإسلامية تراثاً غنياً ومتعدد الأبعاد، لا يمكن فصله عن السياقات التداولية والاجتماعية والفكرية التي ساهمت في نشأته، ورغم اختلاف المصطلحات والمنهجيات، فإن العديد من موضوعات البلاغة العربية القديمة يمكن فهمها من خلال النظريات اللسانية الحديثة، خاصةً في مجالات لسانيات النص والخطاب.

أولى الإشارات إلى الطابع التداولي للخطاب يمكن رصدها في كتابات الجاحظ (ت255هـ)، الذي ركز على علاقة اللغة بالمتلقي، وعلى أهمية السياق في تحقيق الفهم والتأثير، ففي البيان والتبيين يؤكد الجاحظ أن "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي، وإنما الشأن في جودة السبك، وحسن الأداء، وتناسب الكلام مع المقام<sup>1</sup>" هذا التصور المبكر يُشير إلى وعي عميق بكون المعنى لا يكمن فقط في اللفظ، بل في طريقة نظمه وفي علاقته بالمقام وسياق التلقي. كما أن الجاحظ أبرز فكرة "الملاءمة" بين اللفظ والمعنى، والتي تشكل اليوم إحدى ركائز الانسجام النصي في اللسانيات المعاصرة.

أما ابن جني (ت392هـ)، فقد كان أكثر اقتراباً من البعد البنيوي-الوظيفي للغة، إذ خصص في كتابه الخصائص فصولاً كاملة للحديث عن المواضع والسليقة والتقابل بين

<sup>1</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1993، ج1،

الدلالة الوضعية والدلالة السياقية<sup>1</sup> يعتبر اللغة كائنًا حيًا يتطور بتغير السياقات والتداولات، مما يجعله من أوائل من أدركوا الطابع التداولي للنص، رغم خلفيته النحوية الصارمة. ففكرة المواضع اللغوية لديه تتقارب بشكل كبير مع نظرية السياق في اللسانيات الحديثة، حيث لا يتحقق المعنى إلا من خلال تفاعل عناصر الخطاب: المرسل، المتلقي، والسياق.

وقد مثل ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) في كتابه سرّ الفصاحة امتدادًا لهذا المنهج التداولي، حيث ناقش الجمال اللغوي لا كعنصر زخرفي بل كضرورة تواصلية. فقد أشار إلى أن البلاغة لا تتحقق في اللفظ بذاته، بل في "مطابقته لمقتضى الحال"، وهي الفكرة التي ستتطور لاحقًا عند عبد القاهر الجرجاني إلى نظرية النظم. وهذا يدل على أن البلاغة العربية القديمة كانت تنظر إلى اللغة كأداة وظيفية ترتبط بالسياق والغاية، وليس كمجرد بنية مغلقة.

ومن جهته، أسس السكاكي (ت626هـ) في مفتاح العلوم تصورًا بلاغيًا مركبًا يجمع بين المعاني والبديع والبيان، وهو ما يمكن تفسيره بمصطلحات لسانيات الخطاب كتمييز بين الوظيفة التركيبية والدالية والبراغماتية<sup>2</sup> أظهر وعيًا واضحًا بتفاعل عناصر الخطاب وانسجام مكوناته، حيث تناول مفاهيم مثل "ربط الجمل"، و"حسن الترتيب"، و"مراعاة المقام". وتعتبر هذه العناصر متوافقة مع معايير الاتساق (cohesion) والانسجام (coherence) التي وضعتها لسانيات النص في العصر الحديث.

ويجدر التنويه إلى أن هذا التراث لم يكن محصورًا في التنظير، بل كان يُطبق فعليًا على تحليل النصوص، خاصة النص القرآني، الذي شكل الحقل التطبيقي الأكبر للبلاغيين.

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الهلال، 1952، ج1، ص.35-33

<sup>2</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ص.220-217

فقد كان هدفهم إبراز الإعجاز البياني من خلال تحليل العلاقات بين المعاني والألفاظ ضمن وحدة كلية، وهذا ما سيظهر بوضوح شديد في مشروع عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، الذي يمكن اعتباره تنويجاً لهذا المسار البلاغي التداولي. فقد انتقل عبد القاهر بالتحليل البلاغي إلى مستوى جديد من التأسيس المنهجي، حيث جعل "النظم" أساس المعنى والبلاغة، وليس اللفظ منفرداً، كما فعل من قبله.

تشير "قراءة في المنجز" هنا إلى استعراض المساهمات الرئيسية التي قدمها التراث البلاغي في تشكيل تصور تداولي للغة، مع الربط بينها وبين المفاهيم المعاصرة في لسانيات النص والخطاب. على الرغم من اختلاف المصطلحات والأساليب، فإن البلاغيين العرب قد أسسوا فعلاً فكرياً عميقاً يضاهاي النظريات الغربية الحديثة.

## علماء البلاغة الكلاسيكية والمفاهيم التي دارت في فلكها البلاغ

في سياق قراءة المنجز البلاغي العربي القديم، لا يمكن تجاهل الأسس النظرية التي قام عليها علم البلاغة، والتي تشكل بدورها الأساس الذي انبثقت عنه المقاربات النصية والخطابية في وقت لاحق. فهذه المفاهيم – التي شكلت معالم علم البلاغة الكلاسيكية – لم تكن معزولة عن فكرة النظم، بل كانت في كثير منها بمثابة لبنات تأسيسية لما سيعرف لاحقاً عند عبد القاهر الجرجاني بـ"نظرية النظم"، والتي ستدمج هذه المفاهيم في بنية دلالية وتداولية متكاملة.

لقد تمحورت البلاغة العربية القديمة حول أربعة علوم رئيسية: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، ثم علم إعجاز القرآن، وجميعها أسهمت بدرجات متفاوتة في صياغة تصور تداولي للغة والخطاب.

**1. علم المعاني:**

وهو العلم الذي يهتم بكيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي السياق والمقام الذي يُنتج فيه الخطاب. وقد اشتغل على قضاياها كبار البلاغيين مثل الجاحظ والسكاكي، حيث عُني بمباحث التقديم والتأخير، الحذف والذكر، والفصل والوصل، وكلها ترتبط اليوم بما يعرف بـ"الانسجام السياقي" (coherence). "وقد اعتبره عبد القاهر ركيزة أساسية في النظم، لأنه يُعنى بعلاقات الجمل ضمن السياق العام للمعنى"<sup>1</sup>

**2. علم البيان:**

يتناول طرق التصوير البلاغي مثل التشبيه والاستعارة والكناية. وقد وُظف هذا العلم لتمكين المتكلم من التعبير عن المعاني بطرائق فنية متنوعة. ويرى عبد القاهر أن البيان لا يُفهم بمعزل عن النظم، إذ إن التصوير البياني يصبح فاعلاً فقط عندما يتكامل مع السياق

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، 1992، ص. 112.

والمقام<sup>1</sup>

## 3. علم البديع:

يتعلق بالمحسنات اللفظية والمعنوية، كالجناس، الطباق، والمقابلة. ورغم أن هذا العلم تطور مع ابن المعتز وقدامة بن جعفر، فإن عبد القاهر الجرجاني لم يعطه نفس الأهمية، إذ يرى أن البديع ليس منشأً للمعنى بل محسن له، فلا يمكن أن يُعد معياراً في تقويم بلاغة النص<sup>2</sup>

## 4. علم إعجاز القرآن:

شكّل هذا المفهوم القصد النهائي للجهود البلاغية، وقد سعى العلماء إلى تفسير سرّ الإعجاز القرآني من خلال تماسك المعنى وتناسب النظم. ومن أبرز هؤلاء: الخطابي، الباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني. والأخير كان له فضل إعادة بناء التصور البلاغي حول الإعجاز، مؤسساً له على مبدأ "النظم"، أي على انسجام المعاني مع التراكيب ضمن سياق تواصل<sup>3</sup>

إن هذه العلوم مجتمعة لم تكن منعزلة أو متوازية، بل تداخلت وتكاملت لتشكّل بنية عميقة للخطاب، وقد نجح عبد القاهر الجرجاني في تجميعها في نسق نظري متماسك من خلال "نظرية النظم"، التي تمثل الصيغة البلاغية الأقرب إلى لسانيات الخطاب في عصرنا.

1 - المصدر نفسه، ص. 149

2 - ابن المعتز، البديع، تحقيق ف. عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، 1966، ص. 42.

3 - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق عبد العليم النجار، دار المع

19، ص. 78.

**الفصل الأول : التعريف  
بالمصنف عبد القاهر  
الجرجاني وكتابه دلائل  
الإعجاز**

## تمهيد :

يُعتبر عبد القاهر الجرجاني من أبرز الشخصيات في مجال البلاغة ضمن التراث العربي، وقد ترك بصمة واضحة في فهم الإعجاز القرآني. تميز بنظرة عميقة وقدرة فائقة على تحليل النصوص، لاسيما في مؤلفه "دلائل الإعجاز". في هذا الفصل، سنستعرض سيرته العلمية ومكانته في تاريخ البلاغة، بالإضافة إلى أبرز مميزات كتابه من حيث المنهج والمضمون. وذلك بهدف فهم الإطار النظري الذي استندت إليه دراسته للإعجاز البياني.

المبحث الأول : عبد القاهر الجرجاني :

عبد القاهر الجرجاني سيرته ومؤلفاته:

## 1.2 سيرته:

هو "عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان أبو بكر النحوي، فارسي الأصل جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة، أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء وتصدر بجرجان، وحثت إليه الرجال وصنف التصانيف الجليلة، وكان رحمه الله ضيق العطف لا يستوفى الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك".<sup>1</sup>

وقد عُرف عنه سعة العلم وغزارته، واشتهر بعلم النحو، حتى كان يُسمى "عبد القاهر الجرجاني النحوي"، وله مصنفات كثيرة في النحو، ولكن جهوده في علم البلاغة فاقت جهوده في علم النحو، بما أحدث فيها من آراء ووطد من نظريات، ومن ثم معرفة مدى علمه الغزير الذي جعل العلماء والأدباء بعده يلقبونه إمام البلاغيين، لما بسطه في كتابه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، فهو عالم فاضل من علماء جرجان، بلغت شهرته الآفاق، وأضاءت مؤلفاته المكتبات، لأنه أنبه من صنف في علم البيان والبدیع، وقد أفاد من المؤلفات التي سبقته، وأضاف إليها ماكون ثروة بلاغية نفخر بها تتباهى، مع ما عُرف عن هذا الشيخ الجليل أنه لم يسافر إلى بلد ولم يتنقل طلباً للعلم، ولم تذكر كتب التراجم أنه اتصل بعلماء عصره"<sup>2</sup>، وعليه فإن عبد القاهر الجرجاني قد كان "

عالمًا دينا وقف تفكيره ووهب حياته للدفاع عن الإسلام، وكان خير مدافع ومما يدلنا على عاطفته الدينية مضافا إلى ما ذكره بعض مترجميه ما نلمسه في الدلائل من أقوال تدل على سمو عواطفه الدينية، مما جعل ذكر الله سبحانه وتعالى دائما واضحا في كتاباته حيث

1 - جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: أنباء الرواة على أنباء النحاة، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ - 1986م، ص 188.

2 - رسالة ماجستير في علوم البلاغة : بعنوان "مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في بلاغته"، الطالبة هند جميل صالح باية، إشراف علي محمد حسن العماري جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، 1407هـ - 1777م، ص 2-3.

يستهل تقريبا كل فقرات مصنفة الدلائل بذكر العي القدير، جاعلا الاستعانة بالله في أكثر فصول الكتاب من ذلك قوله : " ونسأل الله الهداية"، " والله الموفق للصواب..... ... أستعين بالله، وهكذا نلاحظ على الشيخ عبد القاهر الجرجاني الدقة في اختيار خواتم الفقرات والفصول اختياراً يناسب المعنى الأساسي للفكرة، وكما هو ملاحظ أن عبد القاهر الجرجاني متأثراً بالقرآن الكريم في تعبيراته، فما هو ذا بعد أن توصل إلى أن الألفاظ تبع للمعاني في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق حسب ترتب معانيها في النفس".<sup>1</sup>

**وفاته:** لقد توفي " شيخ البلاغة وإمامها الفذ في سنة احدى وسبعين وأربعمائة للهجرة، وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة".<sup>2</sup>

## 2.2 . أساتذة الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

إن شخصية العالم القوية والفذة هي من جعلته يتميز عن غيره وساهمت في تكوينه فقد عرف عنه " أنه لم يخرج من بلد، لتلقى العلم، ولم يرو أنه اتصل بسultan أو أمير، ولم يختلف إلى أحد . من الفقهاء والشيوخ المشهورين ، ولم يعرف عن أسرته أنها قدمت له مساعدة في هذا الشأن أو جلبت له المعلمين، بل الذي عرف عنه انكبايه على الدرس. وتحصيل العلوم، وتلقف كل ما وصلت إليه يد بالتحصيل والدرس"<sup>3</sup> كما ذكر ابن الأنباري حين قال: "هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، كان من أكابر النحويين، أخذ عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث، وكان يحكي عنه كثيراً، لأنه لم يلق شيخاً مشهوراً في علم العربية، لأنه لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، وإنما طراً عليه أبو الحسن فقرأ عليه"، والملاحظ أن المؤرخين لحياة (الشيخ عبد القاهر الجرجاني) اتفقوا جميعاً على أنه لم يتصل بكثير من العلماء، ولكن بعضهم اختلفوا في أستاذه، بينما ذكر ياقوت الحموي ( أن عبد القاهر قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني واغترف من علمه، وكان إذا ذكره في كتبه تبخيش قال بخ بخ - به وشمخ بأنفه

1 - المرجع السابق ، رسالة ماجستير في علوم البلاغة : بعنوان "مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في بلاغته"، ص 04.

2 - مال الدين أبي الحسن، علي بن يوسف القفطي: إنابة الرواة على أنبأ النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت - لبنان 1406 هـ - 1906م، ص 189.

3 - المرجع نفسه ، ص 21.

بالانتماء إليه، غير أن الحموي نفسه قال في ترجمة ( محمد بن الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي أن من تلاميذه عبد القاهر، وليس له أستاذ سواه<sup>1</sup>، والقول الأخير أقرب إلى الصحة، " لأن القاضي الجرجاني مات في بعض الروايات في سلخ صغر سنة ست وستين وثلاثمائة، وفي بعضها أنه مات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ولا يعقل أن يتصل به عبد القاهر حتى أواخر أيامه وقد شك معظم الباحثين في هذه التلمذة<sup>2</sup>

ومع هذا نجد أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد انكب على كتب العلم، إذ كانت جرجان تغص بالوافدين العلماء والفقهاء، مما أتاح له في يده فرصة كبيرة للقراءة والإطلاع على الكثير من المؤلفات بعقل واع، ونقل عن كثير من العلماء الأفاضل. أمثال: سيبويه، الجاحظ، المبرد، ابن جنبي، العسكري، القاضي الجرجاني وغيرهم، وكان يشير مرة إلى مرة من أخذ منهم ويوضح أسمائهم، وفي أخرى يأخذ . منهم دون أن يشير إلى من أخذ منه، وكان إلى جانب ما عرف عن علمه الغزير وثقافته الواسعة عُرف عنه كذلك ورعة ودينه، بل عاطفة دينيه متأججة، وتلك التي وضحت في جوانب مؤلفاته، مما جعله إمام عصره وشيخا لعلمي البيان والمعاني.

### 3.2. تلاميذ الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

ومن تلاميذ الجرجاني الذين نهلوا منه العلم والمعرفة نذكر :

1/ يحي بن علي الخطيب التبريزي، قال طاش كبرى زاده في ترجمته " هاجر إلى أبي العلاء المعري، وأخذ ع وعن عبيد الرقى والحسن بن رجاء الدهان وابن برهان والمفضل القصباني وعبد القاهر الجرجاني<sup>3</sup> .

2/ أبو ناصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجرى ذكره ( القفطي، فقال: " قال ابن غياض الشامي الكفرطابي النحوي ونقلته بخطه في تذكرته في آخر نسخة المقتصد لعبد القاهر الجرجاني بالرى مكتوبا ما حكايته: " قرأ على الأخ الفقيه أبو نصر أحمد ! محمد محمد الشجرى أيده الله - هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتحصيل بن وكتبه عبد

1 - المرجع السابق ، إنباء الرواة على انباء النحاة ، ص21.

2 - المرجع نفسه ، ص21.

3 - المرجع السابق ، ص21.

القاهر بن عبد الرحمان بخطه في شهر رمضان المبارك سنة أربع وخمسين وأربعمائة، حامداً لربه ومصلياً على محمد رسوله وآله" <sup>1</sup>

3- أحمد بن عبد المها باذي الضرير.

4- علي بن أبي زيد الفصيحي المتوفى سنة 516هـ ، طراً عليه أبو الحسين، فقرأ عليه، وأخذ عنه علي بن أبي زيد الفيصحي.

#### 4.2. أهم مؤلفاته وآثاره العلمية:<sup>2</sup>

1- كتاب شرح الفاتحة : وهو من كتبه التي لا نعلم عنها شيئاً سوى ما قالوا عنه أنه في مجلد واحد.

2- درج الدرر في تفسير الآيات والسور.

3- المعتضد، ذكره القفطي في انبأ الرواة ( ولقد طبع).

4- الشرح الصغير.

5- الرسالة الشافية ( وهي في إعجاز القرآن الكريم وقد طبعها الدكتور محمد خلف الله أحمد، والدكتور محمد

زغلول سلام ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم).

6- دلائل الإعجاز : وهو دراسة بلاغية لإثبات إعجاز القرآن، ووضع نظرية لذلك

7/ أسرار البلاغة: يحتوي هذا المؤلف أصول وقوانين الفنون البلاغية <sup>3</sup>

8- المدخل في دلائل الإعجاز.

1 - المرجع نفسه ، ص24.

2 - المرجع نفسه ، ص24-25.

3 -المرجع السابق ، ص26.

وتعتبر هذه المؤلفات لعبد القاهر الجرجاني من أهم الكتب التي تزخر بها المكتبة العربية، وذلك لاختلافها وتنوعها من نحو وبلاغة وصرف، وبعد مؤلفه " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة من الكتب التي اشتهر بهما والتي نالت حظا وفيرا من الدراسات حولهما.

## المبحث الثاني : التعريف بالكتاب

10- دلائل الإعجاز: فهو من أهم الكتب النقدية التي ظهرت في القرن الخامس الهجري، بل فاق مؤلفات عصره من حيث القيمة والمادة والشهرة. فقد عد بكتابه هذا من أبرز النقاد في تاريخ الأدب، وأثبت ببراعته أنه صاحب نظرية علمية دقيقة، وانفرد بنظرته الخاصة إلى البلاغة والنحو حيث انه لم يسر على خطايا منهج علماء النحو الذين سبقوه ولا على منهج علماء البلاغة الذين سبقوه أيضا. إذ حاول أن يُجدد في مجال علوم اللغة، كونه مبدعا، بالخصوص من خلال دلائل الإعجاز حيث تميز بأفكار وأراء جديدة دلت على منزلته، وهذا ما جعلنا نميل إلى نظرية النظم التي بناها على أسس ثقافته الواسعة، والعميقة بالتراث العربي الفكري واللساني، خاصة انه سبقته مؤلفات كثيرة تتحدث عن البلاغة وأهميتها في بيان الإعجاز القرآني منها مؤلفات الجاحظ (ت 255 هـ) "البيان والتبيين وكتاب الحيوان، أما بالنسبة فيما يخص إعجاز القرآن عند الجرجاني نابع من نظمه بحيث تتألف الألفاظ مع المعاني في أسلوب لا نظير له. القضايا البلاغية في دلائل الإعجاز

اهتم رائد النهضة الإسلامية في العصر الحديث ومفتي الديار الإسلامية ورئيس جمعية العلوم بتدريس مادة البلاغة، في الأزهر الشريف، فأمر بطبع كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ليكونا مادة للدرس البلاغي. طبع دلائل الإعجاز لأول مرة سنة (1321هـ) بعناية السيد محمد رشيد رضا وإشراف الإمام محمد عبده.<sup>1</sup> ثم طبع عدة مرات بتحقيق أحمد مصطفى المراغي والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي<sup>2</sup>. وتعتبر النسخة الأصلية لهذا الكتاب هي التي استحضرها "الإمام محمد عبده" من المدينة المنورة وأخرى من بغداد للمقارنة ذلك ما أكده "محمد رشيد رضا" منشئ مطبعة المنار في الديار المصرية.<sup>3</sup>

1 - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، وايد محمد مراد ، الطبعة الأولى 1403هـ 1983م، دار الفكر بدمشق ، ص53.

2 - حمد بن عبده بن حسن خير الله ولد سنة 1266 هـ الموافق 1849 م / ت 1905 1323م ، عالم دين وفقه ومجدد إسلامي مصري، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، قام بتحقيق وشرح "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني.

3 - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني وليد محمد مراد، الطبعة الأولى م. دار الفكر بدمشق 1983هـ 1403

وفي مقدمة الكتاب يفيض عبد القاهر الجرجاني، في فضل العلم عامة، وفضل علم البيان خاصة في قوله: "ونعلم أيُّ أحق منها بالتقديم وأسبق في استيجاب التعظيم وجدنا العلمَ أولًاها بذلك وأولها هنالك إذ لا شرف إلا وهو السبيل إليه... ولكل من ذلك لفظ قد وضع له، وجُعِلَ دليلاً عليه، فكل من عرف أوضاع لغة من اللغات، عربية كانت أو فارسية، وعرف المغزى من كل لفظة، ثم ساعده اللسان على النطق بها، وعلى تأدية أجراسها وحروفها، فهو بيّن في تلك اللغة، كامل الأداة، بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه.<sup>1</sup> و من الملاحظ أنه لا يقصد من علم البيان معناه الاصطلاحي المعروف عند علماء البلاغة<sup>2</sup>، وإنما يريد به المعرفة بأصول الأداء اللغوي البياني عند العرب. وقد سيطرت على الكتاب نظرية النظم بشتى أقسامها من علوم المعاني تناول فيه اللفظ والمعنى، والفصاحة والبلاغة وتحرير القول في الإعجاز وغيرها من الموضوعات اللغوية الهامة.

كما أن عبد القاهر الجرجاني سعى في هذا الكتاب إلى إثبات أن بلاغة الكلام تكون في النظم، وأن القرآن معجز بنظمه لا بالصرفة، بحيث انه يرد عبد القاهر على مذهب أصحاب الصرفة<sup>3</sup>، على نحو ما ردّ به عليهم في الرسالة الشافية، ويقرر مرة ثانية "أنه لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنه معجز في نفسه، لكن لأن أدخل عليهم العجز عنه، وصرفت همهم وخواطهم عن تأليف كلام مثله وكان حالهم على الجملة حال من أعدم العلم بشيء قد كان يعلمه... لكان ينبغي ألا بتعاضمهم، ولا يكون منهم ما يدل على أكبارهم أمره، وتعجبهم منه، وعلى أنه قد بهرهم، وعظم كل العظم

، ص54.

1 - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 4-6.

2 - وردت كلمة "البيان" في المعاجم العربية بمعنى: ما تبين به الشيء من دلالة وغيرها نقول بأن الشيء بياناً: اتضح، فهو بين، والبيان الفصاحة، واللسان وكلام بين: فصيح، وفلان أبين من فلان أفصح وأوضح كلاماً منه، والبيان: الإفصاح مع ذكاء، والبيان إظهار المقصود بادلّ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور

3 - "اعتبار الإعجاز أمراً خارجاً عن ذات القرآن"، بمعنى أنهم يعترفون بفصاحة القرآن وبلاغته، وروعة نظمه وبداعة أسلوبه، لكنهم لا يرونه على حدّ الإعجاز، بل يقولون ليس الإتيان بمثله خارجاً عن طوق القدرة البشرية.

عندهم، وكان التعجب للذي دخل من العجز عليهم ولما رأوه من تغيير حالهم، ومن أن حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلا، وأن . سد دونه باب كان لهم مفتوحا، أرايت لو أن نبينا لقومه: ان آيتي أن أضع يدي على رأسي هذه الساعة وتُمنعوا كلكم من أن تستطيعوا وضع أيديكم على رؤوسكم، وكان الأمر كما قال: مم يكون تعجب القوم ؟ أمن وضع يده على رأسه؟ أم من عجزهم أن يضعوا أيديهم على رؤوسهم ؟<sup>1</sup>

فمن الملاحظ أن شيخ البلاغة يرفض مبدأ مذهب الصرفة ويؤكد أيضا في كثير من العبارات، أن القرآن الكريم كان معجزا لبلاغته وفصاحته، وأن الله قد جعل معجزة كل نبي فيما كان أغلب على الذين بعث فيهم، وخاصة فيما كانوا يتباهون به، ولم يكن ذلك في عهد رسول الله صل الله عليه وسلم إلا البلاغة والبيان والتصرف في وجوه النظم.

كما أنه تطرق في كتابه دلائل الإعجاز إلى شرح معنى البلاغة والفصاحة، وأن بلاغة الكلام لا ترجع إلى الألفاظ وإنما إلى المعاني وإلى العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، وقد جمع بين النزعتين العلمية والأدبية.

وبالرغم أن الكتاب معنون بـ "دلائل الإعجاز" إلا أننا لم نجد فيه علاجا طويلا لآيات القرآن الكريم، واتخاذها الأساس في تطبيق فكرته، رغم قدسية القرآن وعظمته المسيطرة على نفوس الدارسين والكتاب، ورغم تميزه في اختيار الألفاظ وتحميلها المعاني المقصودة، فهو في مجمله لا يخرج عن المألوف عند العرب من حيث الألفاظ والتراكيب ولكنه أعجزهم من حيث وضع اللفظ إزاء المعنى المقصود وضعا دقيقا ليس في متناول البلغاء الفصحاء، فقد يعلو البليغ أحيانا إلى درجة رفيعة، وقد يخفق أحيانا أخرى وتخونه اللفظة والعبارة ولكن أسلوب القرآن في درجة واحدة من العلو، فلا إسفاف وركاكة ولا ملل.

كما أننا كنا ننتظر من الجرجاني أن يجعل من القرآن محورا ومرجعا لبيان الفصاحة والبلاغة، حتى وصلت بلاغته إلى درجة الإعجاز ، وأن ذلك ليفتح بابا للموازنات بين القرآن وغيره من الكلام البليغ، ليميز تعبير القرآن الكريم بالسمو، وهذا هو السبب الذي دعا الجرجاني إلى إنشاء كتابه.

1 - عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية الدكتور أحمد بدوى وكيل كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص52.51

ونستطيع القول بأن الجرجاني تطرق إلى العديد من القضايا في كتابه دلائل الإعجاز مركزا على اللغة والنحو، ويجدر بنا أن نشير إلى كيفية تقسيمه للمادة العلمية أو المنهج الذي اتبعه في الكتاب، فهذا الأخير كسائر مؤلفات عصره من حيث عدم التقيد بموضوع واحد، فهو جامع بين مواضيع شتى إلا أنها تسير في اتجاه واحد هو النقد والبلاغة والنحو وقام بتقسيم المادة إلى فصول أو أبواب وكل فصل معنون بالمادة اللغوية مباشرة، ويقوم بتقديم الفكرة فيشرحها حيناً ويبرهن على صحتها حيناً، ويرد على الشُّبه، وبعدها الأمثلة كما أشرنا سابقاً نحو: أول فصل بعد المقدمة عنونه ب: الكلام في الشعر،<sup>1</sup> ويضم مجموعة من القضايا الكلام في النحو /تمهيد للكلام في الفصاحة والبلاغة / الكلام في إعجاز القرآن من التمهيد يليه الفصل الثاني بنفس الطريقة، وغالبا ما يتراوح عنده الفصل أو الباب بين عشر إلى عشرين صفحة.

وما يلفت انتباهنا أن عبد القاهر في بعض قضاياها لم يتخذ القرآن كأساس أول لبيان البلاغة والإعجاز، بل كان يقف أحيانا عند الاستشهاد بأمثلة من كلام العرب وبعدها بالآيات القرآنية ويلهم الشعر ليبين ويشرح قضية ما، كما أنه جعل للأمثلة التي انتقاها من الشعر والقرآن موقفاً متشابهاً، بحيث يقوم بعرض الفكرة ويقوم بشرحها وتوضيحها من خلال الشعر والقرآن على السواء، من غير أن يخص القرآن بتفصيل يبين فيه تفوقه ومنزلته وإعجازه. فتراه مثلاً عندما شرح قضية القول في الحذف المفعول به وبالتحديد فيما يخص [ حذف المفعول، لإثبات معنى الفعل، لا غير ]<sup>2</sup> : فابتدأ بمثال "من قول الناس: ( فلان يَحُلُّ وَيَعْقِدُ، ويَأْمُرُ وينهَى، وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ)، وكقولهم: (هُوَ يُعْطِي وَيُجْزِلُ، وَيَقْرِي وَيُضِيفُ)، المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة، من غير أن يُتَعَرَّضَ لحديث المفعول، حتى كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد، وأمر ونهي، وضُرٌّ ونفع، وعلى هذا القياس<sup>3</sup>.

1 - ينظر، دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 11.

2 - ينظر المصدر نفسه، ص 154

3 - المصدر نفسه، ص 154.

بعدها أخذ بعض آيات من القرآن: قوله سبحانه تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>1</sup> المعنى: هل يستوي من له علم ومن لا علم له ؟ - من غير أن يُقصد النص على معلوم. وكذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} <sup>2</sup> وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} <sup>3</sup> . وقوله: {وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى} <sup>4</sup>. هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء. وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تُثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء، وأن تُخبر بأن من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، فإن الفعل لا يُعدى هناك، لأن تعديته تتقضى الغرض وتغير المعنى. ألا ترى أنك إذا قلت: هو يعطي الدنانير، كان المعنى على أنك قصدت أن تُعلم السامع أن الدنانير تدخل في عطائه، وأنه يعطيها خصوصاً دون غيرها، وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء، لا الإعطاء في نفسه، ولم يكن كلامك مع من نعى أم يكون منه إعطاء بوجه من الوجوه، بل مع من أثبت له إعطاء، إلا أنه يُثبت إعطاء الدنانير. فاعرف ذلك، فإنه أصل كبير عظيم النفع. فهذا قسم من خُلُو الفعل عن المفعول، وهو أن لا يكون له مفعولٌ يُمكن النص عليه <sup>5</sup>

ويلهم استشهاده بالشعر فقد ذكر قول عمرو بن مَعْدِي كَرِب:

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتِي <sup>6</sup>

" أَجْرَتِي " فعل متعدّ، ومعلوم أنه لو عدّاه لما عدّاه إلا إلى ضمير المتكلم نحو: (ولكن الرماح أجرتني)، وأنه لا يُتصوّر أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه لاستحالة أن يقول: (فلو أن قومي أنطقتني رماحهم)، ثم يقول: (ولكن الرماح أجرت غيري، إلا أنك تجد المعنى يُلزمك أن تتطرق بهذا المفعول ولا تُخرجه إلى لفظك. والسبب في ذلك أن تعديتك له تُوهّم ما هو خلاف الغرض، وذلك أن الغرض هو أن يُثبت أنه كان من الرماح إجراراً وحَبْسٌ للألسن

1 - سورة الزمر، الآية رقم 9.

2 - سورة غافر، الآية رقم 68.

3 - سورة النجم [43] ، . [44]

4 - سورة النجم، الآية رقم 48.

5 - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 154-155.

6 - في ديوانه المطبوع ، في شرح ( أجرت ) : الإجرار أن يشق لسان الفصيل لئلا يرضع، يقول: لو أن قومي قاتلوا وأبلوا بلاء حسنا في حربهم لذكرت ذلك وفخرت بهم ، ولكن رماحهم ، أجرتني، أي قطعت لساني عن مدحهم لفرارهم، فبقى لا ينطق.

عن النطق، وأن يصح وجود ذلك. ولو قال "أجرتني" ، جاز أن يُتَوَهَّم أنه لم يُعَنَّ بأن يثبت للرماح إجراً، بل الذي عناه أن يُبَيِّن أنها أجرتة.<sup>1</sup>

ومن الملاحظ أن الجرجاني لم يتخذ النثر المأثور مصدراً من المصادر التي استنبط منها قوانين البلاغة، فإنه إذا أراد أن يأتي بمثال من النثر لتوضيح قاعدة أو فكرة جاء بجملته عادية غير مأثورة تشرح أو ليطبق عليها ما يريد.

ولعل هذا ناتج من كون البلاغة تبرز في الفن الشعري أكثر مما تظهر في النثر، وكما هو معروف أن الشعر صورة كاملة للبلاغة العربية.

ويكاد يجمع الباحثون على أن جهود عبد القاهر في الدرس البلاغي والجمالي لا ترد ولا تتكرر؛ لأنه انماز عن سابقه بما توصل إليه، انطلاقاً من تصوّره العميق لأساليب اللغة العربية، يقول الأستاذ تمام حسان: "... أجدني مدفوعاً إلى المبادرة بتأكيد أن دراسة عبد القاهر الجرجاني للنظم وما يتصل به يقف بكبرياء كتفاً إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب، وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي هذا مع الفارق الزمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر الجرجاني"<sup>2</sup>

فيما يخص الفكرة المحورية التي بنى عليها عبد القاهر الجرجاني كتابه دلائل الإعجاز، تدور حول بلاغة الكلام، وأنها تكون في النظم، فقد فرق في البداية بين الحروف المنظومة) و(الكلم (المنظوم) ذلك أن نظم الحروف هو تواليها، وليس نظمها بمقتضى عن معنى من غير أن يكون هذا النظم ناشئاً عن معنى اقتضاه، فلا وجود لصلة بين الكلمة ومعناها إذ قال: فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال (رَبَضَ) مكان (صَرَبَ)، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد<sup>3</sup>. والأمر يختلف في نَظْمِ الكَلِمِ فهي حسب ترتيب المعاني في النفس ويظهر هذا في قوله: "هو إذن نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو

1 - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 157.

2 - اللغة العربية معناها و مبناها د.تمام حسان، ط3، سنة 1418 هـ / 1998 م ، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

3 - المرجع نفسه، ص 49.

النَّظْم الذي معناه صَمُّ الشيء إلى شيء<sup>1</sup>. والفائدة من معرفة هذا الفرق انه يُمكنك من معرفة أن الغرض بنظم الكلم لا يكمن في توالي الألفاظ في النطق، بل إن تناسقت دلالة الألفاظ وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، لأننا لا نشك في أنه لا صلة للفظه بصاحبيتها إذا عزلت دلالتها جانبا، فالألفاظ من حيث هي ألفاظ تستحق أن تنظم على وجه دون وجه<sup>2</sup>

كما أنه يُشير على بعض الشُّبه وما يُغلط الناظر في هذا الموضع، أنه يَسْتَبْعِد "أن يُقال: هذا كلام قد نُظِمَت معانيه"<sup>3</sup>، فيجيب على ذلك عبد القاهر الجرجاني: "إن كانوا يستعملوا النظم في المعنى، قد استعملوا فيها ما هو بمعناه ونظير له، وذلك قوله إنه يرتب المعاني في نفسه، وينزلها، ويبني بعضها على بعض، كما يقولون: يرتب الفروع على الأصول، ويتبع المعنى المعنى ويلحق النظير بالنظير<sup>4</sup>. فلم يرق عبد القاهر هذا الرأي وعلق عليه لكي يوضح فكرته ويُزيل الشُّبه بقوله: "إذا كنت تعلم أنهم قد استعاروا النسيج والوشى والنَّقْش والصياغة لنفس ما استعاروا له النظم، وكان لا يُشكُّ في أن ذلك كله تشبيه وتمثيل يرجع إلى أمور وأوصاف تتعلق بالمعنى دون الألفاظ، فمن حَقك أن تعلم أن سبيل النظم ذلك السبيل"<sup>5</sup>

وما نستطيع الإشارة إليه أن عبد القاهر لم يكن أول من اهتم بالنظم فالاهتمام بنظم الكلام قديم قدم الأبحاث اللغوية، حيث إننا نجد قدماء اليونان قد عالجوا قضاياها ضمن ما عالجوا من ألوان الثقافات الأخرى، كما أننا نجد أرسطو والهنود وأصفي شاهد على ذلك ما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين عن الصحيفة الهندية، وما ذكره البيروني في تاريخ الهند

1 - المرجع السابق، ص 49.

2 - عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية الدكتور أحمد بدوى وكيل كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 102.

3 - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 53.

4 - المصدر نفسه، ص 53.

5 - المصدر نفسه، ص 53.

ووصفه للمحاولات البلاغية التي كانت تتصل بقضية الإعجاز في كتابهم الديني". وقد كان هو أول من اهتم من العرب بهذا الحقل من الدراسات اللغوية<sup>1</sup>

### خلاصة فصل :

يظهر من خلال هذا الفصل أن عبد القاهر الجرجاني يعد شخصية بارزة في مجالي البلاغة والنقد. وقد ساهم كتابه "دلائل الإعجاز" في تأسيس مفاهيم جديدة تتعلق ببلاغة القرآن. اعتمد الجرجاني في هذا العمل على منهج تحليلي دقيق يركز على النظم والسياق. كما قدم رؤية شاملة حول العلاقة بين اللفظ والمعنى، مما يجعله مرجعاً أساسياً في الدراسات البلاغية والقرآنية.

---

<sup>1</sup> - يمكن مراجعة هذه القضية في كتاب عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، الدكتور أحمد أحمد بدوى وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص58. 32- ينظر المرجع نفسه ص58.

**الفصل الثاني : معايير**  
**لسانيات النص والخطاب في**  
**كتاب دلائل الإعجاز لعبد**  
**القاهر الجرجاني**

### تمهيد :

تُعتبر لسانيات النص والخطاب من أبرز المجالات الحديثة التي تركز على دراسة النص بشكل شامل ومتسق. وعلى الرغم من حداثة هذا المصطلح، إلا أن جذوره تعود إلى التراث العربي، خاصة من خلال أعمال عبد القاهر الرجاني. فقد قدم في كتابه "دلائل الإعجاز" تصورات دقيقة تتقاطع مع معايير اللسانيات النصية المعاصرة. يهدف هذا الفصل إلى تسليط الضوء على تلك المعايير كما ظهرت في تحليله للخطاب القرآني، من خلال مفاهيم مثل النظم والسياق والترابط بين المعاني.

## مدخل : المقرب المفاهيمي لسانيات النص في دلائل الإعجاز

### 1. النظم :

مصطلح نظم كما جاء في الدلائل : [ وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حساب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف، والصياغة والبناء، والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى تكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح.<sup>1</sup>

شبه الجرجاني النظم في هذا النص بستة عناصر، يتم من خلالها بيان مدى اكتمال النظم ومدى تحقيقه للتماسك والتناسق، سواء على مستوى البناء السطحي أو العميق في الخطاب، وحتى يقرب ويوضح فكرة النظم القرآني الكريم المعجز بألفاظ وتراتيب مألوفة عند العرب، هذه العناصر الأساس هي: النسج و التأليف والصياغة و البناء و الوشي و التحبير وتحققت إذا ما تم مراعاتها في تأليف الكلام بلاغة الخطاب ممثلة في محكم السبك والحبك، كما يسمى في الدراسات اللسانية المعاصرة باعتبارها نتائج لمراعاة نظم الكلمات وفق معانيها وما يقصده المتكلم منها " فليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل<sup>2</sup> وذلك من خلال ترتيب ألفاظها وتراكيبها على حسب ترتيب المعاني النفسية وتصاغ في نسيج لغوي محكم الصياغة والتأليف.<sup>3</sup>

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني؛ الأنيس، السلسلة الأدبية تحت إشراف محمد بلقايد، موفم للنشر 1991، ص65.

2 - نفسه، ص 54.

3 - سمية ابربر، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، جوان 2011، ص170.

فالنص نسيج لغوي محكم البناء بين المعاني النفسية والتراكيب اللغوية المتغيرة عنه في كل متماسك، وهي نظرة تتقاطع مع ما جاء به العالم الهولندي "فاندايك" في نظرية النسيج المتشابك للنص، حيث اعترض على القواعد الكلاسيكية في تحليل النصوص، ودعا إلى الوقوف في تحليلها على آليات الإضافة، الحذف و الذكر والاستبدال، ليخرج من دراسة نحو الجملة ليصل إلى نحو النص.

يقول الجرجاني على أن هاهنا نظاما وترتيبا وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا ونسجا وتحبيرا، هذه وأن سبيل هذه المعاني في الكلام حقيقة فيه.<sup>1</sup> مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي الذي هي إن الملاحظ لهذه الثنائية التي أتى بها الجرجاني في هذا النص، يجدها بدأت بالنظم وانتهت بالتحبير، فيها نوع من التناغم نظم، ترتيب [تأليف، تركيب] [صياغة تصوير] [نسيج تحبير]، وفي هذا إشارة إلى مستويات الخطاب أوله النظم وآخرها التحبير هذه الصفات الثمانية بهذه الطريقة تحقق تمام بلاغة الخطاب في أعلى صورته.<sup>2</sup>

درجة السبك

درجة الحبك - صياغة وتصوير ( علاقة باطنية)

والغرض من تشبيه الجرجاني للنظم بهذه الصناعات، هو تقريب المعنى الناس، فنجد انطلق مما هو أسمى [النظم] ثم بدأ بالتدرج إلى [النسج] ثم [التأليف] ثم [الصياغة] ثم [البناء] ثم [الوشي] ثم [التحبير] حتى يتسنى لعامة الناس فهم ما يقصده، وحتى يرفع الغموض والالتباس، فجاء بهذه الصناعات التي

1 - عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 46

2 - سمية ابرير، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز، ص 170.

سادت في عصره ويمكنه أن يكون بينها وبين النظم نوع من التشابه في طريقة الصنع، إذا اعتبرنا اللغة مادة خاما، والنظم صانعا للكلام البليغ.<sup>1</sup> مما تقدم يمكن الخروج بالملاحظات الآتية:

1. حالة المنظوم بعضه مع بعض: إن حقق المعنى مع بعضه، هذا المعنى يتفق إلى حد بعيد مع المفهوم الغربي الحديث **Cohérence** أو الاتساق.
2. كيف ما جاء واتفق: أي بطريقة منطقية تربط معنى كل لفظة بمعنى اللفظة التي تليها والتي تسبقها، ولا يكون بطريقة عشوائية [كما جاء واتفق] هذا ما يقابل المصطلح الأجنبي **Aléatoire**
3. عندما شبه الجرجاني النظم ب: النسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشى والتحبير، من خلالها أن يقرب مفهوم النظم الذي يقترب كثيرا من مفهوم الانسجام **Cohesion** عند الغربيين.

هكذا لم تكن نظرية النظم بعيدة عن الأفكار اللسانية المعاصرة كما في لسانيات النص لأنّ لهما غاية واحدة هي دراسة النص في جملته وكيفية تحقق التماسك والتناسق فيه، وما استخدام الجرجاني لمصطلح النظم إلا إقرار بضم الحروف والكلم في جمل والجمل في نصوص عبر علائق نحوية لتحقيق نسيج كلي. إن هذا الترابط أو التناسق بين الأدوات اللغوية في ما يسمى عند المحدثين الغربيين بالاتساق وكيفية تحققه في النص مع مراعاة الجانب الدلالي العميق [الحبك] هو ما أشار إليه كل من هاليداي ورقية حسن، حيث يريان أن النص يشكل من مجموعة من الجمل ترتبط فيما بينها فتشكل بنية النص ووحدته.<sup>2</sup>

1 - المرجع نفسه ، ص 171.

2 - سمية ابربر ، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز ، ص 172.

وأكد الجرجاني أن النظم هو العمدة والأساس في الإعجاز القرآني، وعليه فإنه يعادل الانسجام في اللسانيات النصية.

فالنظم:

على مستوى السياق اللغوي → Cohésion (الانسجام)  
(السبك)

على مستوى سياق الحال → Cohérence (الاتساق)  
(الحبك)

## 2. التعليق

من أهم المصطلحات التي وردت في كتاب دلائل الإعجاز، ويعرفه بقوله: "واعلم أنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، ولجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس."<sup>1</sup>

إن هذا النص النفيس، يضعنا في الموقع الصحيح، وهذا بيانه:

أ/ أن لا نظم ولا ترتيب في الكلم حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك.

ب/ الكلم ترتب في النطق ترتيب معانيها في النفس.<sup>2</sup>

من هذا نخلص أن النظم ما هو إلا تحصيل حاصل لعمليتين:

1 - عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، ص 54.  
2 - سمية ابربر ، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز ، ص 173.

ترتيب الكلم وتعليقه بعبه ببعض، على أن يكون الترتيب مرآ لآقفة للتعليق، فالكلم بأقسامه الآلاث اسم فعل (آرف يآرتب بسبب ترتيب معانيها في النفس، فلا يآرتب إلا بعد تعليق، والآرتيب مقره النفس، وتفسير ذلك أن كلا المفتاحين النظميين لهما بعدان بُعد لفظي ظاهر [شكلي] وبعد نفسي آفي [معنوي]، آيآ يقوم المتكلم بآعليق دلالات الألفاظ في عقله أولاً، وذلك بضم بعضها إلى بعض، وترتيبها بحسب معاني النحو ووفق مقدرة المتكلم اللغوية، فتكون النتيجة تنظيماً وترتيبها في النطق.<sup>1</sup>

وهذا الكلام يثبت ما ذهبنا إليه، فالآرتيب يكون في المعاني، لأنها مناط اهتمام المتكلم وهي مقصودة من الكلام، ومن هذا فإن ما نلاحظه من آقديم وآأخير في الألفاظ مرده إلى قصد المتكلم.

ومآصولنا من هذه الوقفة أنه بغض النظر عن الطريقة التي يتم بها الربط بين كلمة وآخرى فإن فكرة التعليق أساسية في تشكيل النصية، وآلق الروابط اللازمة بين أجزاء النص. ويذكر الجرجاني أن التعليق يكون بين معاني الألفاظ، ولا يتم بين الألفاظ مجردة من المعاني، وفي هذا إشارة منه إلى ما يعرف اليوم بالمعنى الوظيفي والمعنى المعجمي للألفاظ، وإلى المعنى المقامي الذي يكون معهما ما يعرف بالمعنى الدلالي.<sup>2</sup>

ونآلص آخيراً إلى أن التعليق هو ارتباط الألفاظ بعضها ببعض، سواء أكانت أسماء أم أفعالاً أم آروفاء، ولا يكون هذا ارتباطاً، لأن ترتيب الألفاظ يكون بحسب ترتيب المعاني في النفس، فالألفاظ هي أوعية المعاني، ومن هذا الربط

1 - مصطفى حميدة؛ نظام الارتباط والربط في الجملة العربية؛ الشركة المصرية العالمية للنشر، لونها، ط 1997، ص 11.

2 - مصطفى حميدة، المرجع السابق، ص 12.

يتكون النظم، فالتعليق بمعناه العام عند الجرجاني يقترب جدا من مفهوم الاتساق عند اللسانيين الغربيين. إذن:

التعليق

الحبك أو (الانسجام) = Cohérence.

### 3. الفصاحة :

عبد القاهر الجرجاني لا يقيم وزنا للفظة المفردة في الفصاحة فهو يقول: [ إنهم قالوا أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضمّ على طريق مخصوصة، فتراهم في الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية في معاني النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا ...]<sup>1</sup>

إن المتأمل في هذا النص، يدرك بوضوح أن الفصاحة ليست شيئا في المتناول، إذ لا تتشكل خبط عشواء، فقد ربطها الجرجاني ب: نظام اللغة أو نظام النحو، بما فيه من إمكانات تسمح بإجراء علاقة تواصلية إلا أنه منذ البدء يضع القارئ على بينة من أمره من خلال تفرقه بين النحو ومعانيه، حيث يقول : اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله]<sup>2</sup>

إن هذا الكلام يبيننا بالمكانة المرموقة للنحو، ودوره الهام في الفصاحة لذلك فهو يردّ على الذين انصرفوا عن النحو غير مكترئين بشأنه حين يقول: [وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 70.

2 - المرجع نفسه ، ص 38.

أشنع من صنيعهم في الذي تقدم، وأشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه، ذلك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه.<sup>1</sup> إذن: فمرد ذلك إعراض أهل ذلك الزمان عن النحو، حيث جعلوا خلاصة أمره حركات توضع أواخر الكلام.

#### 4. معاني النحو و

أما معاني النحو فقد عني بها عبد القاهر الجرجاني أيما عناية، فإذا كانت الألفاظ ترتب بحسب ترتيب المعاني في النفس، بحيث يتعلق بعضها ببعض وتقع مواقعها الملائم من النظم، فلا بد من وسيلة لمعرفة الفروق الدقيقة بين نظم ونظم والتي تكون التعاون والتفضل، وهذه الوسيلة هي معاني النحو، وهو غير الإعراب، وإنما المراد من وراء ذلك مما يستنبط بالفكر والروية التي يستعان بها الآن، هذه المعاني هي إضافية تقوم على قوانين النحو وأصوله وتقع هذه المعاني في طوائف منها<sup>2</sup>

1. معاني أقسام الكلم: كالحدث والزمن والعطف
2. معاني الصيغ: . كالطلب وغيره.
3. معاني أساليب الجمل: كالخبر والتأكيد والشرط.
4. معاني أبواب النحو كالإسناد والتعدية والتبعية.

وهي عديدة لا حصر لها وكلها تقوم في سبيل تحقيق النظم، وبالتالي تحقيق الفصاحة داخل النص، فتتحقق على ضوءها معايير النصية، وكأنّ

1 - سمية ابربر ، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز ، ص 175 .

2- تمام حسان؛ مقالات في اللغة والأدب، القاهرة، عالم الكتاب، ط 1 ، 2006، ص 334.

الجرجاني يريد التأسيس للسانيات نصية عربية، حيث يؤكد كلامه هنا، وفي مواقع أخرى، على عناصر تحقيق الاتساق والانسجام كما وقف عليها علماء العرب.<sup>1</sup> واضح مما تقدّم ربط الجرجاني الفصاحة بمعاني النحو وأحكامه، ولا يرى لها في غير معانيه قيمة تذكر.

ونجده أسقط اللفظة من حساب الفصاحة لافتقارها إلى صلة الأدبية التي تخول لها مكانها من النظم، ومدى أنسها وانسجامها مع معاني جاراتها، انسجاما يجعلها تتألق بينها تألقا باهرا.

إذن فالفصاحة لا تكمن في تخيير الألفاظ المنمقة بعيدا عن جاراتها، وإنما تكمن في حسن اختيار اللفظة في موقعها المناسب لها، مراعيًا في ذلك ما يليها وما يسبقها من جاراتها، متوخيا في ذلك معاني النحو وأحكامه. فالفصاحة إذن مرتبطة بالمتكلم الذي يستطيع بقدرته على الربط والتنظيم، خلق انسجام النص وفي هذه إشارة واضحة من الجرجاني إلى ما يعرف بالسياق في اللسانيات النصية المعاصرة.

إن العبرة بمكان الكلمة من النظم وارتباطها بما جاورها من الكلمات، ولهذا قد تكون في موضع معين أفصح منه في موضع آخر، وقد قال الجرجاني في الفصاحة قد اتضح اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ مجردة لا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر.<sup>2</sup>

1 - سمية ابربر ، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز ، ص 176 .  
2 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 48.

ونجد في قول الجرجاني هذا أن اللفظة لا حياة لها دون أخواتها، ولا معنى لها خارج السياق، ثم نجده قد استعمل مصطلحي: المؤانسة  $\neq$  الوحشة استحسان المتلقي أو عدم استحسانه لما تلقاه.<sup>1</sup>

وهذا المعنى يتوافق إلى حد كبير مع المعنى الغربي في اللسانيات النصية *Acceptabilité* الذي يعني استحسان المتلقي لما يتلقاه، أو استحسانه عدم إياه وهذا المصطلح هو واحد من المصطلحات المشروطة حتى يحقق النص نصيته.

وقد أكد ذلك تعريفه للفصاحة بقوله إنها خصوصية في نظم الكلم وضم بعضها إلى بعض على طريق مخصوصة أو على وجوه تظهر بها الفائدة أو ما أشبه ذلك من القول المجمل كافيا في معرفتها ومغنيا في العلم بها، لكفى مثله في معرفة الصناعات كلها فكان يكفي في معرفة نسج الديباج الكثير التصاوير أن تعلم أنه ترتيب للغزل على وجه مخصوص، وضمّ لطاقت الإبرسيم بعضها إلى بعض في طرق شتى...<sup>2</sup>

في هذا التعريف شبه عبد القاهر الجرجاني النظم بالنسج، وشبه الكلم بالديباج الكثير التصاوير، وشبه وضع الكلمات وضمها إلى بعضها البعض، بترتيب الغزل في المنسجة وشبه النص الذي رمز له بالقول المجمل بالمنسجة.

فالنسج هو واحد من الصناعات التي ازدهرت وانتشرت بشكل باهر، في عصر عبد القاهر الجرجاني، وقد لاحظ أن النسج بالديباج وطريقة ترتيب الغزل في المنسجة يشبه إلى حد كبير، نظم الكلم داخل النص بالألفاظ، مراعي ترتيبها منطقيا حسب ترتيب المعاني في النفس.

1 - سمية ابربر ، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز ، ص 177.  
2 - المرجع نفسه ، 52.

وأراد بهذا أن يوضح ويقرب معنى النظم بما يفهمه الناس، فضرب مثلا حتى يفهمه الخاص والعام.

وهكذا فالنظم عند عبد القاهر الجرجاني يساوي النسيج، والديباج يساوي الكلم، وترتيب الغزل يساوي تنظيم الكلم، ويتم هذا النسيج داخل منسجة تساوي النص.<sup>1</sup>

#### 4. آليات الربط والارتباط:

يقول الجرجاني في دلائل الإعجاز: وينظر " في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو أن تجيء "ما" في نفي الحال وبـ "لا" إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ"إن" فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون وبـ"إذا" إذا علم أنه كائن، وينظر في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع وموضع "الفاء" من موضع "تم"، وموضع "أو" من موضع "أم"، "الفاء"، وموضع "لكن" من موضع "بل"، ويتصرف في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والإضمار والإظهار، فيضع كلا من

ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له.<sup>2</sup>

يزخر هذا المقطع بكثير من دلائل الدراسة النصية باعتباره تناول العناصر المحققة للتماسك النصي، مثلما استقر عليها الدرس اللساني المعاصر، كما تناول الفروق بين استعمال الأدوات المختلفة ليتحقق بها الاتساق والانسجام على مستويين؛ البيئة السطحية والبيئة العميقة، كما يتضمن دعوة صارخة لتجاوز

1 - سمية ابربر ، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز ، ص 178 .

2 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 94 .

الجملة وصولاً للنص، من خلال عرضه لأدوات الربط بين الجمل وأين تُوظَّف وكيف؟

وهو نفس الاهتمام الذي شغل فان دايك حيث اهتم بالروابط هذه، مقسماً إياها إلى روابط منطقية مرتبطة بتضيد الجمل، وروابط طبيعية وأشار إلى روابط بالعطف والوصل والفصل، كما أشار إلى العلاقات التي تدخل في إطار معاني الجرجاني، كما أشار إليها سابقاً مع أفضلية السبق الزمني لعبد القاهر الجرجاني<sup>1</sup>، وأكد الجرجاني على قدرة المتكلم اللغوية وكفاءته ومهارته في تخير الممكنات المختلفة التي تطرحها اللغة في معاني النحو، والفروق فيما بينها حسب مقتض الحال، فالحرف "ما" مثلاً يفيد الوقت الحالي، بينما "لا" تفيد الاستقبال.

فعلى المتكلم مراعاة ذلك أثناء كلامه، ويعرف موضع استعمال إن وإذن مع مراعاة الفصل والوصل ومواضعهما في الكلام حسب غرض وقصد المتكلم لما بينهما من معان دقيقة. وهذا القصد يشكل أحد المعايير النصية التي تحقق نصانية النص الاتساق و الانسجام و الإخبارية و القصد و التناص و المقامية] كما جاء بها دوبراند ودريسلر.

كما تشكل ظواهر: التقديم والتأخير والتعريف والتكثير والحذف والتكرار والإضمار والإظهار آليات أساسية في تحقيق الاتساق والانسجام، وصولاً بالنص إلى تماسك محكم الصياغة والتحرير، وكأن الجرجاني يؤسس للسانيات النص، ذلك أنه تحدّث بالتفصيل عن أدوات الربط المختلفة بين الجمل والعبارات، وأكد عليها بالأمثلة التطبيقية وعلاقتها بالسياق وخضوعها لقصد القائل وظروف السامع، وكل هذه الآليات كانت مدار بحث من "هاليداي" و"رقية حسن" و"فان

<sup>1</sup> - انظر؛ إبراهيم خليل اللسانيات ونحو النص، عمان، دار الميسرة، ط 1، 2007، ص 197.

دايك" في تأسيسهم لنظريات الاتساق والانسجام، فكان لعبد القاهر الجرجاني فضل سبق في تناول.

إن عبد القاهر الجرجاني في دراسته لتلك الآليات، لم يقف بها عند حد الكلمة فقط، بل تجاوزها إلى أدوات الربط بين الجمل، ولم يكتف في تناوله للعطف بدوره بين الكلمات، بل تنبه أيضا إلى عطف الجملة على جملة أخرى، وما يشكله تلاحمهما من معنى السبك والبناء، وكذلك الأمر مع كثير من أدوات الربط التي بحثها الجرجاني، مثل الإحالة التي لم يكن لها باب واضح في الدلالة، لكونها توجد في ثنايا مباحث الكتاب فقد مثل لها بقوله: "جاءني زيد وهو مسرع" فهي من حيث الدلالة واللفظ نظير قولهم: جاءني زيد، وزيد مسرع، وعقب على ذلك مؤكداً أن الضمير "هو" أغنى تكرير زيد<sup>1</sup>

وبهذا يؤكد لنا أن ما تناوله الجرجاني في كتابه هو حقيقة من دلائل الدراسة النصية بحق، فالتقاطع بين ما وصل إليه هو، وما يوجد في الدرس اللساني الغربي الحديث واضح جدا.<sup>2</sup>

التقديم والتأخير هو الآخر يشكل أحد أهم عناصر الربط عند الجرجاني، فهو يحقق قوة السبك والجودة فيه، ليحقق تماسكا دلاليا مهما، حيث إن تقديم الخبر عن المبتدأ أو الفاعل عن الفعل، يكون لتحقيق أغراض معينة مثل: تقديم الذي بيانه أهم للاهتمام أو التخصيص أو التأخير لغرض التشويق، فلكل تقديم أو تأخير معنى معين يؤمه المتكلم. وكذلك الأمر مع [ال]

التعريف التي تجاوز بها الجرجاني دلالتها على التعريف إلى دلالتها على شيء سبق ذكره، يعلمه السامع.

1 - إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص 227.

2 - سمية ابربر، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز، ص 191.

كما رأينا في قولنا: "زيد" المنطلق حيث دلت على أن السامع يعلم أن الانطلاق قد كان سابقا، فهي تساهم في تحقيق الربط بين المعاني السابقة والحاضرة، ليتحقق التماسك لا على مستوى البنية السطحية فقط، بل حتى على مستوى البنية العميقة. والحذف من أدوات تحقيق التماسك النصي، عند عبد القاهر الجرجاني؛ إذ يشكل آلية هامة لأنسجام جمل النص، يقول الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت على الإفادة<sup>1</sup>

أزيد في الإفادة." فالحذف يحقق التماسك لأنه يجنب تكرار الكلمات بطريقة تفقد النص توازنه، ففيه نوع من الاستراتيجية التي يأخذ فيها المتكلم بيد المتلقي ليشركه في نسج معاني النص، من خلال تقدير المحذوف.

فالمعنى في الجملة لا يتم عبر البنية السطحية وحدها، بل والبنية العميقة كذلك، بعد استرجاع المحذوف منها من طرف السامع، فيشرك المتكلم والسامع في تحقيق معنى النص المنسجم والمتسق بمراعاة المقام التواصلية الذي يرد فيه. والحذف أنواع، فقد يكون كلمة، وقد يتعدى ذلك إلى جملة، فتحذف بأكملها وقد أشار إليه "فان دايك" وركّز عليه في كتابه "النص والسياق" وهو عند "هاليداي" و"رقية" "حسن" استبدال من الصفر، باعتباره لا أثر له إلا في الدلالة، ولا يحل أي شيء محل المحذوف.

وقد قسمناه إلى حذف اسمي وحذف فعلي، غير أن دراسة عبد القاهر الجرجاني كانت أسبق بكثير من علماء الغرب، مما يؤكّد أن "الدلائل" كتاب في لسانيات النص.<sup>2</sup>

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 165.

2 - سمية ابربر، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز، ص 193.

في الختام، يمكن القول إن نظرية النظم تتواجد إلى جانب النظريات اللغوية الغربية، بل إنها تتفوق عليها في مجال التراكيب اللغوية. يبدو أن هذه الدراسات الحديثة قد استندت بشكل أساسي إلى نظرية النظم، حيث إن التقارب الكبير بين نظرية النظم السابقة ولسانيات النص اللاحقة لا يمكن أن يكون مجرد صدفة. تعتبر هذه الدراسات بمثابة تطوير لنظرية النظم العربية، كما أوضح واحتج لها العالم اللغوي العربي المعروف عبد القاهر الجرجاني.

بعد اتمامنا الفصل النظري الذي يتحدث عن بعض المفاهيم لمظاهر الاتساق والانسجام ، سنحاول في هذا الفص إسقاط هذه المفاهيم ونقوم بتطبيقها على كتاب عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " .

المبحث الأول : مظاهر الإتساق وادواته في دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني :

### 1-الاتساق وادواته :

عند أغلب الباحثين متصلا بالبنية السطحية الشكلية للنص لاشتمال<sup>1</sup> على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة.<sup>2</sup>

الاتساق: لغة من الجدر الثلاثي (و.س.ق)

ورد في لسان العرب لابن المنصور : «الوسوق : ما دخل فيه الميل وما ضم، وقد سبق الليل واتسق وكل ما انضم: فقد اتسق والطريق يأتسق ويتسق ، أي ينضم ... واتسق القمر استوي »

وفي التنزيل «فلا أقسم بالشفق (16) والليل ما وسق (17) والقمر إذا اتسق(18)».<sup>3</sup> ويقول الفراء: «وما وسق، أي وما جمع وضم واتسق القمر أي امتلاؤه وإجماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة».<sup>4</sup>

. ومنه فالاتساق هو الضم والانتظام والاجتماع والحمل.

وورد في المعجم الوسيط وسقت الدابة (نسيق) وسقا، ووسوقا ، حملت ... والقمر : استوي وامتلاء ويقال : استوسقت له الأمر: أمكنه».<sup>1</sup>

1 - الطيب العزالي قواوة، التماسك النصي بين درس البلاغي القديم والدرس اللساني الحديث، المرجع السابق، ص478/479

2 - ينظر : إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفانج دريلسر، ص103

3 - سورة الانشقاق، الآية.[16-17-18]

4 - ابن منظور أبو الفضل محمد لسان العرب، المرجع السابق، ص379.

- وورد في معجم متن اللغة لأحمد رضا : «وسقه بسقه وسقا ووسوقا : ضمه وحمله... واسق يتسق يأتسق الشيء، نضم وأنتظم».<sup>2</sup>

ومنه نلاحظ أن المعنى اللغوي الاتساق هو الجمع والضم والانتظام.

#### اصطلاحاً:

اختلفت ترجمات هذا المصطلح فهناك من ترجمه إلى "Cohésion" أو "Cohérence" فمنه نجد أحمد عفيفي قد ترجم cohesion ، بالسبك والتضام، و coherence بالحبك والانسجام، ونجد أيضاً محمد خطابي في كتابه لسانيات النص قد ترجم cohésion بالاتساق و coherence بالانسجام.<sup>3</sup>

- يعرفه محمد خطابي : "بأنه التماسك الشديد بين أجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين عناصر المكونة لجزء من الخطاب وخطاب برمته.<sup>4</sup>

فالانساق عنده هو الترابط الشكلي بين بداية النص وآخره دون الفصل بين بدايته وآخره ودون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة ولا يجده شيء.<sup>5</sup>

- وشار إليه تمام حسان في مقدمة ترجمته لكتاب النص والخطاب والإجراء لدى بوجراند بمصطلح السبك وعرفه بقوله: «السبك أحكام علاقات الأجزاء ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقريبة الربط من جهة أخرى».<sup>6</sup>

1 - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط المرجع السابق، ص1032.

2- أحمد رضا ، معجم متن اللغة، دار مكتبة متن الحياة، مجلد 56، بيروت، لبنان، (دط)، ص 755.

3 - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2009، ص121.

4 - محمد خطابي، المرجع السابق، ص05.

5 - دومنيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب تر محمد يحياتن، من منشورات الاختلاف، ص 17.

6 - تمام حسان، قراءة جديدة لترا بثا النقدي، ص 789، نقلا عن جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص78.

- أما عند هاليداي ورقية حسن عرفوه بمصطلح الاتساق يشير إلى مجموعة الإمكانيات التي تربط بين شيئين»<sup>1</sup>.

- وهذا يعني إن الاتساق هو مجموعة من العلاقات النحوية والمعجمية بين العناصر المختلفة في النص ويحقق بها وجوده.

### أدوات الاتساق :

وجدنا في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر جرجاني بأنه وظف الإتساق النحوي بكثرة ومن أهم عناصر هذا الإتساق النحوي:

**الإحالة : لغة :** مصدر الفعل أمال وهو التغير ونقل الشيء إلى شيء آخر.

حيث ورد في تاج العروس للزبيدي « أحال الشيء تحول من حال إلى حال، أو أحال أرجل: تحول من الكفر إلى الإسلام»<sup>2</sup>.

- وورد في معجم لسان العرب والمحال من الكلام ما عدل به عن وجهة وحوله: جعله محالا، وأحال أتى مجال ، ورجل محوال: كثير محال الكلام مستحيل: محال، ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن احمد أنهى قال: المحال الكلام لغير شيء.... والحوال: كل شيء حال بين اثنين.... وتحول عن الشيء: زال عنه إلى غيره. حال الرجل يحول مثل تحول من موضع إلى موضع، الجوهرى حال إلى مكان آخر أي تحول»<sup>3</sup>.

### اصطلاحا:

وهي العلاقة الموجودة بين العبارات والأشياء والأدوات والمواقف في العالم وهذه العبارات الدالة إنها ذو طبيعة استبدالية في سياقات النصوص<sup>4</sup>.

1 - محمد خطابي، لسانيات النص، المرجع نفسه، ص16.

2 - الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني) ، تاج العروس، المطابع الخيرية، مصر، (دط)، 1306هـ، ص95.

3 - ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مجلد 12، 1055-1056

4 - نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورعات التؤول، عالم الكتب الحديث، ط1، 2012، ص43

- ويعرفها جون ليونز في سيقا حديثه عن المفهوم التقليدي أنها: «العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات، فالأسماء تحيل إلى المسميات وهي علاقة دلالية تخضع لقيود أساسي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية من العنصر المحيل والعنصر إليه.<sup>1</sup>
- ويعرفها روبرت دي بوجدراند : بأنها العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والموافق في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات).<sup>2</sup>
- أما عند هاليداي ورقية حسن فهي "العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العدة إلى ما نشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة وهي حسب الباحثين: الضمائر، أسماء الإشارة وأدوات المقارنة".<sup>3</sup>
- أما عند العرب فنجد تعريفها عند الأزهر الزناد" تطلق على قسم من ألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص، زهي تقوم على مبدأ التماثل بينما ذكره في مقام ما وبينما ما هو مذكورة بعد ذلك في مقام آخر " <sup>4</sup>

#### أدوات الإحالة:

- 1 الضمائر :** وهي نوعان تحيل إلى خارج النص تندرج تحتها جميع الضمائر والضمائر تؤدي دورا هاما في اتساق النص، تندرج ضمنها ضمائر الطيبة وهي تحيل داخل النص.
- 2 أسماء الإشارة :** منه ما يدل على الزمان ومنها للمكان.. فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي.

والإحالة هي نوعان : إحالة نصية قبلية وإحالة نصية بعدية.

1 - أحمد عفيف، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ص 116.

2 - د دي بوجراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكتاب ، مصر ، ط1، 1992، ص53.

3 - محمد خطابي، لسانيات النص، المرجع السابق، ص17.

4 - الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، (دط)، (دبت)، ص118.

وقد قمنا باستخراج بعض الأمثلة من كتاب الذي بين أيدينا دلائل الإعجاز واستخلصناها في جدول وبين لكل مثال نوع الإحالة والمتمثلة في :

المحيل منه	المحال اليه	نوع القرينة	نوع الإحالة
اشتعال بعلمها	الشعر	ضمير متصل	إحالة نصية قبلية
ذم الكلام كله	الكلام	ضمير متصل	إحالة قبلية
الذي هو	زعم على الذم (الانسان)	اسم موصول	إحالة نصية بعدية
هذا	الضرب	اسم إشارة	إحالة نصية بعدية
يقصه بحكايته	الحاكي	ضمير متصل (هاء)	إحالة نصية قبلية
الذي	الغرض	اسم موصول	إحالة نصية قبلية
عند سماعه	الشعر	ضمير متصل ( الهاء )	إحالة نصية قبلية
فأنشده	أبو بكر	ضمير متصل (الهاء)	إحالة نصية قبلية
يصغى إليهم	حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير	ضمير متصل (الهاء)	إحالة نصية قبلية
هذه	القصيدة	اسم إشارة (هذه)	إحالة نصية بعدية

إحالة نصية بعدية	اسم إشارة	الوصف	لا يجوز ان يكون هذا الوصفي في التركيب <sup>1</sup>
إحالة نصية قبلية	اسم موصول	البرهان	البرهان الذي بان لهم
إحالة نصية قبلية	اسم موصول	الوصف	انزعم زاعم ان الوصف الذي تحدو له <sup>2</sup>
إحالة نصية بعدية	ضمير متكلم	بشر	" انا بشر مثلكم وما انت

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، 371.  
<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص نفسها -

			بمسمع" وما انت بمسمع مافي القبور
إحالة نصية بعدية	ضمير مخاطب	مسمع	
إحالة نصية بعدية	ضمير مخاطب	نذير	ان انت إلا نذير
إحالة نصية قبلية	اسم موصول	الأمر	الأمر الذي بهرهم

**دورها في تماسك النص :** فقد ساهمت الضمائر باختلافها في تحقيق التماسك النصي فالتوزيع وفي الأدوات ، الظواهر ، الإحالة ساعد في خلق نص مترابط سواء كانت هذه الإحالة النصية قبلية او بعدية باستعمالها الضمائر أو أسماء إشارة أو أسماء موصولة فهي تصل أجزاء النص ببعضها.

#### ب/ الإستبدال :

**الاستبدال لغة:** ورد في مختار الصحاح للراوي البل إذا وجد الشيء مكان غيره، ويستبدل بشيء آخر أي وضع حرف مكان حرف آخر<sup>1</sup>.

تغيير الصورة إلى صورة أخرى<sup>2</sup>، «ويقال : بدل الكلام حرفه وبدل الثوب القديم، بالثوب الجديد، وفي التنزيل (وإذا بدلنا آية مكان آية)»<sup>3</sup> فمعنى الاستبدال في المعجمين يعني: التغيير وإحلال الشيء مكان الآخر.

**اصطلاحاً :** يقصد به في مفهومه العام هو أن يحل الحرف محل حرف آخر ويتم على المستوى التركيبي والدلالي داخل السياق.

ويعرفه تمام حسان الصوت الذي يحل محل صوت آخر لآبد أن ينتمي إلى حرف غير الذي ينتمي الأخير إليه والصوتان اللذان لا يحل أحدهما محل الآخر ينتميان إلى حرف

1 - الرازي (محمد بن أبي بكر) ، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ط)، (د.ت)، ص44.

2 - ابن منظور (جمال الدين الافريقي)، لسان العرب، المرجع السابق، ص38-39.

3 - معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص44.

واحد يعينهن وهكذا يخضع كل صوت من أصوات الكلام للاختبار بوضعه بأجزاء كل صوت آخر على حده واعتباره مما ينتهي إليه أولاً ينتمي إليه هذا لصوت الآخر حتى نصل في النهاية إلى تحديد انتماءات الأصوات كلها وهذه الطريقة تسمى الاستبدال<sup>1</sup>. وتعد ظاهرة القلب مظهر آخر للاستبدال الذي هو عبارة عن تقديم وتأخير أحد حروف الكلمة الواحدة أشرط أن يبقى على معناه أو تغييره تغييراً خفيفاً مثل: فراشة، فشارة<sup>2</sup>

وقد وظفه عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بقوله: " عن عبد الملك بن عمير انه قال اوتي عمر رضوان الله عليه يحلل من اليمن فآته محمد بن جعفر بن ابي طالب، ومحمد بن ابي بكر الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله، ومحمد بن حاطب، فدخل عليه زيد بن ثابت رضي

الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء المحمّدون

وهنا استبدل الأسماء بالحمدون نوع هذا الإستبدال هو الاستبدال الإسمي ويكمن دوره في انه يساهم في تحقيق التماسك النصي بالرغم بان عبد القاهر الجرجاني لم يستحضره بكثرة، إلا انه قام بدوره فخلق الترابط بأجزاء النص ، و يتضمن الجدول التالي المزيد من الأمثلة التي استخرجتها من الكتاب :

المثال	التفسير
أقم الصلاة لدلوك الشمس <sup>3</sup>	استُبدلت بصيغة زمنية بليغة عن الأمر المباشر
وجعلنا الليل لباساً <sup>4</sup>	استُبدلت بـ"سْتَرًا" لمزيد من الإيحاء التصويري
وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً <sup>5</sup>	سقف أبلغ من غطاء في الدلالة على الحماية

1 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الكتب، القاهرة، ط4، 2004، ص75.

2 - جرجي زيدان، الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، 1986، ص11 ا

3 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70

4 - المرجع نفسه ، ص73

5 - المرجع نفسه ، ص76.

انفطرت أبلغ من تشققت في بيان الحدّة	إذا السماء انفطرت <sup>1</sup>
استبدال يوضح طبيعة المادة وصوتها	خلق الإنسان من صلصال كالفخار <sup>2</sup>
استبدال 'بلغ' ب'فاصدع' لتأكيد الجهر بالحق	فاصدع بما تؤمر <sup>3</sup>
استبدال 'فتثبتوا' ب'فتبينوا' في قراءة أخرى	فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة <sup>4</sup>
استبدال 'نقيًا' ب'طهورًا' للدلالة على الطهارة الشرعية	أنزل من السماء ماءً طهورًا <sup>5</sup>
استبدال 'ملائكة' ب'معقبات' للدقة الوصفية	له معقبات من بين يديه <sup>6</sup>
استبدال 'الأشياء' ب'الأسماء' لتكثيف المعنى	وعلم آدم الأسماء كلها <sup>7</sup>

### ج/ التكرار :

يعرف التكرار على أنه ظاهرة شائعة في الكلام الشفاهي ، يستعمل من أجل تقرير وجهة نظر معينة وتوكيدها ، أو التعبير عن الدهشة ، أو لتدعيم السبك النصي ، أو لغير ذلك من الأغراض .<sup>8</sup>

ويبين أبو الهلال العسكري في "باب الأطناب " أن ثمة فائدة دلالية للتكرار وهي فائدة التوكيد ، إذ يقول : "وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير<sup>9</sup> ، فمن ذلك قوله تعالى {كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون} وقوله تعالى : {فان مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا} سورة الانشراح، الآية 5،6.

1 - المرجع نفسه ، ص79

2 - المرجع نفسه ، ص82

3 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص85

4 - المرجع نفسه ، ص87.

5 - المرجع نفسه ، ص89

6 - المرجع نفسه ، ص92

7 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص95

8 - سعيد حسن بحيري، أساسيات علم لغة النص، مدخل إلى فروضه ونماجه، مكتبة زهراء ، الشرق ، القاهرة، 2009، 1، ص 147.

9 - ابو الهلال العسكري ، كتاب الصناعيتين الكتابة والشعر ، تح : علي محمد الجاوي ، محمدابو الفضل ، دار حياء الكتب العربية، ط 1 ، 1381، ص 193.

ومن أمثلة التكرار أيضا ما وجد في الشعر فمن ذلك قول امرئ القيس الذي كرر فيه اسم "سلمى على سبيل التشويق إذ يقول :

ديار لسلمى عافيات بذي الخال  
وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا  
ألح عليها كل أسحم هطال  
وتحسب سلمى لا تزال منصبا  
من الوحش أو بيضا بميثاء محلال  
ليالي سلمى إذ تريك منصبا  
بوادى الخزامى أو رأس أو عال  
وجيدا كجيد الرئم ليس بمعطال.

يُعتبر التكرار من أبرز مظاهر الاتساق النصي التي تناولها عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز". فهو لا يُعتبر مجرد حشو لغوي، بل يُعد أداة بلاغية تؤدي وظيفة دلالية وتوكيدية. وقد أظهر الجرجاني كيف يحدث التكرار تأثيراً عميقاً في النفس من خلال إيقاعه، ودعمه للمعنى، وترسيخه في ذهن المتلقي. يظهر التكرار في القرآن الكريم بأشكال متنوعة، مثل تكرار الألفاظ، وتكرار التراكيب، وتكرار الجمل، وذلك بهدف تعزيز الإقناع، وتعميق التأثير، وزيادة الانسجام بين أجزاء الخطاب، وفيما يلي جدول يوضح نماذج مختارة من مظاهر التكرار كما وردت في تحليل الجرجاني:

المثال	التفسير
فبأي آلاء ربكما تكذبان <sup>1</sup>	تكرار للتوكيد وإثبات النعمة
ويل يومئذ للمكذبين <sup>2</sup>	تكرار للتهديد والتحذير
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون <sup>3</sup>	تكرار للتحذير في مقام إنذاري
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا <sup>4</sup>	تكرار ضمني لتأكيد الوعيد
إياك نعبد وإياك نستعين <sup>1</sup>	تكرار الضمير لتخصيص العبادة

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص110

2- المرجع نفسه، ص115

3- المرجع نفسه، ص120

4- المرجع نفسه، ص122

الحق...الحق <sup>2</sup> ...	تكرار لتثبيت الحجة والصدق الإلهي
وما أدراك ما القارعة * وما أدراك ما هيه <sup>3</sup>	تكرار لإبراز شدة الأمر
ثم انظر ثم انظر <sup>4</sup>	تكرار للتأكيد على إمعان النظر
كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين <sup>5</sup>	تكرار فعل النفي للتقريع
ثم كلا سوف تعلمون <sup>6</sup>	تكرار للوعيد بقوة شديدة

### ح/ الحذف :

يعد الحذف من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية، بوصفه انحرافاً عن المستوى التعبيري العادي. ويستمد الحذف أهميته من حيث أنه لا يورد المنتظر من يفجر في ذهن المتلقي شحنه توقظ ذهنه وتجعله يفكر فيما هو مقصود.<sup>7</sup>

الألفاظ ومن ثم أن فالحذف ويعرفه دييوغراندي أنه استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الدهن ، أو يوسع أو يعدل بواسطة العبارات الناقصة ، وأطلق عليها تسمية الاكتفاء بالمعنى العدمي<sup>8</sup> هو علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق ، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية<sup>9</sup> إلا أن الحذف عند هاليداي ورقية حسن ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

### الحذف الاسمي: Ellipse nominale

حذف هو اسم داخل المركب الاسمي مثل : أي قبعة ستلبس ؟ هذه هي الأحسن  
وفي قوله تعالى : { وفي الرقاب } البقرة 177. أي وفي تحرير الرقاب .

1 - المرجع نفسه ، ص125

2 - المرجع نفسه ، ص128

3 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص130

4 - المرجع نفسه ، ص132

5 - المرجع نفسه ، ص134

6 - المرجع نفسه ، ص136

7 - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، دط ، 2009 ، ص 106

8 - دييوغراندي . ، النص والخطاب الإجمالي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1997 ، ص21.

9 - محمد خطابي ، لسانيات النص (مدخل الى انسجام الخطاب) (المركز الثقافي العربي ، ط1، 1991، ص21).

### الحذف الفعلي: Ellipse verbale

ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي: هل كنت تسبح؟. نعم فعلت

وقوله تعالى: {وقيل للذين ألقوا ماذا أنزل بكم قالوا خيرا} النحل الآية 30

وهنا في هذه الآية ماذا أنزل ربك؟ أنزل خيرا .

حذف داخل شبه الجملة: Ellipse clausale

مثل: كم ثمنه؟ خمس جنيهاً.

وفي قوله تعالى: {تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت} الأحزاب الآية 19.

أي تدور أعينهم كدوران عين الذي تغشى عليه من الموت.

= مما هو ملاحظ أن الحذف هو حذف كلمة أو بعض الكلمات. ولكنها مع ذلك لا تزال

مفهومة من سياق العناصر المتبقية فهو يرتبط بالبنية السطحية. والحذف يقوم بدور اتساق

يختلف عن الإحالة.

يُعتبر الحذف من الأساليب البلاغية واللغوية التي تساهم في تحقيق الاتساق والانسجام

داخل النص، حيث يعتمد المتحدث على قدرة المتلقي في استكمال العناصر المحذوفة من

التركيب اللغوي. وقد منح عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" أهمية خاصة

لمفهوم الحذف، وفيما يلي جدول يوضح نماذج من مظاهر الحذف كما تم تحليلها من قبل

الجرجاني في النصوص القرآنية:

المثال	التفسير
إذا جاء نصر الله والفتح <sup>1</sup>	حذف جواب الشرط لتوقعه من السياق
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل <sup>2</sup>	حذف جواب لو لتعظيم شأن القرآن
واسأل القرية <sup>3</sup>	حذف المفعول به وتقديره أهل القرية

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص 47.

3- المرجع نفسه، ص 50.

وما أدراك ما الحاقة <sup>1</sup>	حذف الجواب لإثارة الرهبة والغموض
وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون <sup>2</sup>	حذف السبب المتوقع للرؤية الظاهرية
قل هو الله أحد <sup>3</sup>	حذف المبتدأ وتقديره الشأن أو الأمر
قالوا سلامًا قال سلام <sup>4</sup>	حذف الفعل 'قالوا' في الجواب للبلاغة
إن في ذلك لآيات <sup>5</sup>	حذف التفسير أو البيان المقصود من الآيات
وجاء ربك والملك صفاً صفاً <sup>6</sup>	حذف فعل يصاحب المجيء لتقديره من السياق
حتى توارت بالحجاب <sup>7</sup>	حذف الشمس لتقديرها المفهوم من السياق

1- المرجع نفسه ، ص52.

2- المرجع نفسه ، ص 54.

3- المرجع نفسه ، ص 57.

4 - المرجع نفسه ، ص 59.

5- المرجع نفسه ، ص 61.

6- المرجع نفسه ، ص63.

7- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص65

### المبحث الثاني : الإنسجام وآلياته :

|| الانسجام : يعد الانسجام أعم واشمل من الاتساق، لأنه يطلب من المتلقي صرف الاهتمام عن العلاقات التي تتحكم في توليد النص، ومنه فان الانسجام يرتبط بالبنية العميقة التحتية للنص وكذلك يرتبط بالجانب الدلالي والتداولي.

الانسجام لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور : من الجذر الثلاثي (س.ج.م) سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه سجما وسجوما : وهو قطرات الدمع وسيلانه قليلا أو كثيرا، وكذلك : الساجم من المطر، والعرب تقول : دمع، ساجم، ودمع مسجوم»<sup>1</sup>

- وورد في القاموس المحيط: «سجم الدمع سجوما وسجاما ككتاب وسجمته العين والسحاب الماء تسجنه قطرة معها وسال قليلا أو كثيرا»<sup>2</sup>

- وجاء في المعجم الوسيط: «أسجمت السحابة : دام مضرها والعين الدمع: سجمته، انسجم، انصب».<sup>3</sup>

- فتدور معاني هذه المادة حول القطران الانتصاب الصب، السيلان، ومنه نستنتج أن هذه المعاني المستخلصة من النص.

اصطلاحا يعرفه نعمان بوقرة: «يتضمن حكما عن طريق الحدس والبديهة، وعلى درجة من المزاجية حول الكيفية التي يشتغل بها النص، فإذا حكم قارئ على نص ما بأنه منسجم فلأنه عثر على تأويل يتقارب مع نظريته للعالم لأن الانسجام غير موجود في النص فقط ولكنه نتيجة ذلك التفاعل مع مستقبل محتمل».<sup>4</sup>

1 - ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج8، ص103.

2 - الفيروز أبلدي(مجد الدين بن محمد يعقوب)، القاموس المحيط، المرجع السابق، ج 2، ص 1009-1010.

3 - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط المرجع السابق، ص418.

4 - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، عالم الكتب الحديث عمان، الأردن، ط، 2009، ص92. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، المرجع السابق، ص94.

ويعرفه سعد مصلوح بعد ترجمته بالحبك : يعني الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم».<sup>1</sup>

. فسعد مصلوح يرى أن مصطلح الحبك يقابل مصطلح الانسجام فهو يعبر عن التماسك الدلالي للنص

آليات الإنسجام :

أ/ السياق : يعود السياق في أصله اللغوي إلى مادة "سوق" يقول: ابن فارس (ت 392)، "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حد والشيء يقال ساقه سيوقه سرقا، والسيقة ما استبق من الدواب، ويقال : سقت إلى امرأتي صداقها واسفتة، والسوق مشتقة من هذا، مما يساق إليها في كل شيء والجمع أسواق"<sup>2</sup>

• وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 392) "ساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا هو سائق وسواق يشد للمبالغة، قال تعالى: « وباءت كل نفس معها سائق وشهيد » ق- آية 21، وقيل في التسيير سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها بعملها، وقد انسقت الإبل وتساوقت إذا تتابعت"<sup>3</sup>

السياق اصطلاحا : رغم ظهور وتطور نظرية السياق عند المحدثين خاصة الغرب منهم إلا أننا نجد جذورها الأولى تعود في الأصل آلة العرب المسلمين القدامى.

يعرفه الشافعي: «الكلام بيكون عاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، وظاهر يعرف من سياقه أنه يراد غير ظاهره فكل موجود في أول الكلام أو وسطه أو آخره، فقد يكون الظاهر من الكلام غير مقصود لكن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد»

فعند البلاغيين اشترطوا مطابقة الكلام بمقتضى الحال واشتهرت مقولتهم لكل مقام مقال<sup>4</sup>.

1 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، المرجع السابق، ص94.

2- ابن فارس معجم مقاييس اللغة المرجع السابق، مادة (سوق). ص300.

3 - ابن منظور، المرجع السابق، مادة (سوق)، ص250.

4 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتاب، القاهرة، ط3، 1998، ص337.

ف نجد السياق في كتاب دلائل الإعجاز يكمن في :

المرسل : عبد القاهر الجرجاني .

المتلقي : القراء

الموضوع : دلائل الإعجاز.

القناة : عن طريق الكتابة .

النظام : اللغة العربية الفصحى.

شكل الرسالة : مزج الكاتب بين النثري والشعر

الغرض : بيان عظمة الله عزوجل في القرآن الكريم.

تعد هذه الخصائص ذات أهمية كبرى في الكشف عن انسجام النصوص ، فقد ورد في النص أنواع السياق منها السياق العاطفي فيظهر تأثر عبد القاهر الجرجاني بالقرآن الكريم وبعظمة الله وذلك باستعماله ألفاظ إسلامية مقتبسة من القرآن الكريم مثل : رسول الله ، الجنة .... إلخ.

ب/ التغيريـض : أفرز علم اللغة النصي مجموعة من المفاهيم وذلك للحكم على ناصية النص، ومن بين المفاهيم التي تعمل على تحقيق الترابط والتماسك في النص هو التغيريـض. ومفهوم التغيريـض يتعلق بالارتباط الشديد بين مضمون الخطاب وأجزائه وبين عنوانه ونقطة بدايتها إذ للخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقة وتقوم حوله بقية أجزائه<sup>1</sup>.

- ويعرفه براون ويول : «نقطة بداية قول ما ونقطة بداية أي نص تكمن في عنوانه أو الجملة الأولى فالعنوان عنصر مهم في سيميولوجيا النص إن ما يثير لدى القارئ توقعات

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص (المرجع السابق)، ص59.

قوية حول ما يمكن أن يتضمنه النص، إذ عداه براون ويول أق وسيلة من وسائل التغميض لاحتوائه وظائف رمزية مشفرة فهو إجراء في هدف النص وعرضه، أما الجملة الأولى فهي تمثل معلما عليه يقوم اللاحق منها ويعود.

- ويحدد كرايمس: التغميض بمفهوم أعم وهو : «كل قول، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، وكل خطاب منظم حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية».<sup>1</sup>

العنوان النص هو أهم ركيزة يبني عليها النص ومن هنا يحيلنا عنوان النص دلائل الإعجاز حيث بدأ في الكتاب ب بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين يعنى بدأ مقدمته بمقدمة إسلامية ، ثم يقوم بعدها بدرس القرآن الكريم بشكل معمق ويعني يبين لنا إعجاز الدارسين وان كان اعجازهم في اللفظ أو اعجاز في المعنى.

وبعد قراءتنا للنص وجدنا ان الجمل المكونة له ما هي إلا امتداد لعنوانه ومن هنا نستنتج أن الكاتب استطاع ان يخلق انسجاما بين العنوان والنص .

### 3-موضوع الخطاب:

ويعرف الموضوع أنه نواة مضمون النص حيث يسمى مسار الأفكار القائم على موضوع أو عدة موضوعات في نص ما، ويتحقق موضوع النص أما في جزء معين من النص أو بمجرد مضمون النص، وذلك بطريق العبارة المفسرة الموجزة المختصرة.<sup>2</sup>

إن موضوع الخطاب يعد مركزا أساسيا تدور حول الأقوال التخاطبية، التي تستمد من عملية الامتداد عبر كامل النص وتستطيع أن تحدد مفهوم الموضوع) عبر حدسنا اللغوي يمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما، حديث عن شيء ما

1 - المرجع نفسه، ص60.

2 - براون ويول، تحليل الخطاب تر محمد لطفي الزليطني الشعر العلمي، والمطابع الشعرية، 997، ص85.

ولقد أضاف الدارسون إلى موضوع الخطاب، مفهوم التخاطب، الذي يقتضي إثنتين في العملية التخاطبية، وبخاصة في النص الشعري في علاقته بسائر المقاطع ي بناء موضوع الخطاب، ولذلك قال "مورجا": "أن المواضيع لت توجد في الجمل بل لدى المتكلمين" <sup>1</sup> . وقد اقترح الباحثان يوول "وبراون" "مفهومين فعالين في تقييد موضوع الخطاب، وفي جعله أكثر ارتباطاً بإطاره العام وهما : قاعدة الوجهة وإطار الموضوع" هذا الأخير الذي يتمثل في الملامح السياقة التي تنعكس على النص، بوصفه البناء الشكلي الذي يتمثل فيه القول، وتستمد الخصائص السياقية كتبديل الشفرة.

والعلاقات القائمة على مبدأ توزيع الأدوار في عملية التواصلية والأدوات الاشهارية مثل: أنا وانت وهنا والى بطبيعة الحال من السياق المادي فهي تقع خارج لنص، ومنهما يستمد من داخل الخطاب نفسه.

النص	التفسير
" الذي اعتمده في هذا الكتاب أن أجعل القول مفصلاً في بيان النظم " <sup>2</sup>	يصرح الجرجاني بأن موضوع كتابه هو نظرية النظم.
" واعلم أن ليس النظم هو نظم الألفاظ فقط، بل هو توخي معاني النحو وأحكامه " <sup>3</sup>	يبين أن النظم يتعلق بالمعنى والتركييب، وليس باللفظ وحده.
"إذا أردت أن تعرف إعجاز القرآن، فانظر إلى نظمه لا إلى مفرداته" <sup>4</sup>	يحدد أن النظم هو سر إعجاز القرآن، لا مجرد المفردات.
" فما نظرتُ في هذا الباب إلا وأنا أطلب به وجه الإعجاز " <sup>5</sup>	يُظهر أن دراسة النظم تهدف إلى الكشف عن الإعجاز البياني.

1 - لمرجع نفسه، ص80.

2 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 45.

3 المرجع نفسه ، ص46.

4- المرجع نفسه ، ص 48

5 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 49.

<p>يؤكد أن النظم هو الأساس في تحقق المعنى الكامل.</p>	<p>" ما أردتُ في هذا الموضع إلا أن أبين أن المعنى لا يتم إلا من جهة النظم " <sup>1</sup></p>
<p>يبين أن الغاية من نظرية النظم هي فهم كيفية اتساق المعاني والعبارات.</p>	<p>" غاية هذا الفن أن يُدرك وجه التآلف بين المعاني والعبارات " <sup>2</sup></p>

#### 4- تناص :

تهدف الدراسات المتصلة بالتعلق النصي إلى إبراز عدم اقتصار النص على حدث واحد إذ ربما تداخلت في مجموعة من الأصوات الناجمة عن تداخل النصوص ضمن الجنس الأدبي الواحد، فكل نص حد تعبير "بارت": " تناص تمثل فيه نصوص أخرى على مستويات

مختلفة وتحت اشكال قد لا تعتنص على الإدراك إلا قليلا، سواء ما سلف من نصوص الثقافة وما حضر فكان كل نص هو نسيج جديد من شواهد معادة"<sup>3</sup>

وانطلاق من هذا القول نستنتج ان النص تنتظم فيه مجموعة من النصوص سواء جاءت عن طريق وعي او غير وعي لان المؤلف اجتمعت لده كثير من النصوص، كان صداها قائما في النص الجديد، بحيث شكل هذه النصوص، نسيجا نصيا واحدا يتعلق بعضها مع بعض محدثة بناء متراسا.

<p>نوع التناص والتفسير</p>	<p>النص المستشهد به</p>
<p>تناص قرآني - يستخدم الآية لتبيان الإعجاز في النظم القرآني.</p>	<p>«ولن تجد في كلامهم شيئا هو أبلغ من قول الله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ <sup>4</sup></p>

1 - المرجع نفسه ، ص 50

2 - المرجع نفسه ، ص 53.

3 - عبد المالك مرتاض، نظرة النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص283.

4 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 90.

<p>تناص شعري - يوظف بيت الشعر لتوضيح أثر الترتيب والتقديم في المعنى.</p>	<p>«ومتى نظرت في قوله: إذا أنت لم تزرع وأبصرتَ حاصدًا ... ندمتَ على التفريط في زمن البذر<sup>1</sup></p>
<p>تناص نحوي - استدعاء من كتاب سيبويه لتدعيم حجة لغوية في النظم.</p>	<p>«وقد قال سيبويه في الكتاب: "إنك إذا قلت : مررتُ برجلٍ كريمٍ "...دلّ ذلك على أن الكرم صفة له<sup>2</sup></p>
<p>تناص ضمني مع حديث نبوي - يُلمح إلى «إن من البيان لسحراً.»</p>	<p>«فإن الكلمة لا تقع في النفس موقعها حتى تُعطى حقها من المقام<sup>3</sup></p>
<p>تناص فلسفي نحوي - تأكيد لأهمية الكلية في إنتاج المعنى من خلال التراكم التركيبي.</p>	<p>«كما قال النحويون: إن المعنى لا يُفهم إلا بتمام الكلام، لا بجزئه<sup>4</sup></p>
<p>تناص بلاغي - توظيف تراثي يعمق الاتصال بالخطاب البلاغي القديم.</p>	<p>«وقد بيّن ذلك عبد الله بن المقفع في الأدب الكبير حين قال<sup>5</sup>»...</p>

1 - المرجع نفسه ، ص 95.

2 - المرجع نفسه ، ص76.

3 - المرجع نفسه ، ص 84.

4 - المرجع نفسه ، ص66.

5 - المرجع نفسه ، ص75.

خلاصة فصل :

يتضح من خلال تحليل دلائل الإعجاز أن عبد القاهر الجرجاني قد سبق اللسانيين المعاصرين في العديد من مفاهيم لسانيات النص. فقد أولى اهتمامًا خاصًا لترابط الجمل والمعاني، وأبرز أهمية السياق والنظم في تحقيق الانسجام النصي. كما وضع أسسًا بلاغية يمكن دراستها وفق منهج لساني حديث، مما يعكس عمق رؤيته وإسهامه في تطوير نظرية النص قبل أن تُعرف بشكلها الاصطلاحي. وهذا يجعل تراثه مصدرًا مهمًا في مجالات الدراسات اللسانية والبلاغية.

# خاتمة

بعد استكشاف جوانب هذا البحث، ومن خلال الدراسة النظرية والتطبيقية التي تناولت موضوع "ملاحم من لسانيات الخطاب في تراثنا البلاغي: كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني"، كان هدفنا الرئيسي هو الكشف عن أدوات الاتساق والانسجام وآلياتها كما تجلّت في هذا الأثر البلاغي الفريد. وقد أتاح لنا هذا المسار العلمي المتواضع الوصول إلى مجموعة من النتائج المهمة التي يمكن تلخيصها كما يلي:

يتضح أن لسانيات الخطاب، رغم حداثة نشأتها، أثبتت فعاليتها المنهجية والإجرائية في تحليل الخطاب وكشف أسرار الإعجاز، خاصة عند تطبيقها على قراءة تراثنا البلاغي. وقد حظي مفهوم "الخطاب" باهتمام كبير من المفكرين عبر العصور، حيث وردت مفردة "الخطاب" في العديد من الآيات القرآنية، مما يدل على أهميتها المركزية في البناء المعرفي للنصوص.

كما أن الخطاب قد تم تعريفه بطرق متعددة، حيث فرّق بعضهم بينه وبين النص، بينما اعتبره آخرون وجهين لعملة واحدة. وقد تبين لنا أن عبد القاهر الجرجاني، في كتابه "دلائل الإعجاز"، لم يكن غافلاً عن هذه القضايا، بل تناولها من منظور لغوي نحوي دقيق، حيث جعل من اللغة والنظم أساساً لفهم بلاغة النص القرآني.

أظهر الجرجاني وعياً عميقاً بآليات الاتساق النصي، حيث استخدم أدوات مثل الإحالة، والحذف، والتكرار. كما اهتم بربط الجمل من خلال أدوات الوصل والفصل، مما جعل نصه متماسكاً ومنسجماً من حيث البناء والدلالة. بالإضافة إلى ذلك، توسع في شرح مفهوم "النظم"، الذي يعادل في اللسانيات النصية الحديثة مبدأ التأليف والترابط السياقي، مؤكداً على أهمية الانسجام بين الأجزاء لتحقيق وحدة النص.

ومن الجدير بالذكر أن عبد القاهر يُعتبر من الرواد الأوائل الذين أسسوا لعلم النص، حيث قدم مفاهيم دقيقة ومتراصة لا تقل قيمتها العلمية عن تلك التي توصل إليها لاحقاً رواد اللسانيات الغربية مثل فان دايك وجون ميشال آدم. وتظهر المقارنة بين المنهجين العربي والغربي مدى التكامل في البحث عن وسائل تماسك الخطاب وانسجامه.

في الختام، لا يدعي هذا البحث الإحاطة الكاملة بالموضوع، بل يُعتبر خطوة متواضعة نحو إعادة قراءة تراثنا البلاغي في ضوء المناهج اللسانية الحديثة. فإن أصبنا، فذلك بفضل الله، وإن أخطأنا، فنحن نعتبر أننا سلكنا طريق الباحثين وأدينا واجب الملاحظة والتفكير.

ملاحق

## ملحق رقم 01 : علماء البلاغة والإعجاز

عندما نتحدث عن علماء البلاغة والإعجاز ، فإننا نشير إلى علماء الذين ركزوا على الإعجاز البياني والبلاغي في القرآن الكريم ، وبينوا كيف ان الأسلوب القرآني يخرج عن المألوف في البلاغة ، ويحجز البشر عن الإنسان بمثله ، سواء في التركيب أو الدلالة أو التصوير ومن أبرز هؤلاء العلماء ودورهم في البلاغة والإعجاز هم :

العالم	العصر	أبرز المؤلفات	مجاله وموضوعه الرئيسي
عبد الجرجاني	القرن 5هـ	دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة	وضع نظرية النظم وبين أن إعجاز القرآن في تركيب الكلام وليس في الألفاظ
الباقلاني	القرن 4هـ	إعجاز القرآن	أول من صنف في الإعجاز بشكل مستقل وركز على اللفظ والمعنى والأسلوب
الزمخشري	القرن 6هـ	الكشاف	مفسر البلاغي ركز على الصور البيانية والتراكيب البلاغية في القرآن الكريم
السكاكي	القرن 7هـ	مفتاح العلوم	جمع علم البلاغة في ثلاثة أقسام ( المعاني - البيان - البديع)
التفتازاني	القرن 8هـ	المطول المختصر	شرح البلاغة القرآن اعتمادا على السكاكي وشرح الأساليب البلاغية في القرآن
الرافعي	القرن 14هـ / 20م	اعجاز القرآن والبلاغة النبوية	دافع عن الإعجاز البياني للقرآن أمام الطعنات الإستشراقية في العصر الحديث
فخر الدين الرازي	القرن 7هـ	التفسير الكبير	جمع بين الفلسفة والبلاغة في

وبهذا يتضح لنا أن علماء البلاغة أبرزوا لنا أن القرآن الكريم يتفوق على أي نص أدبي أو لغوي وذلك من خلال :

- تماسك المعنى وجمال السبك.
- تصوير فني عميق للمفاهيم .
- أسلوب لا مثيل له في التأثير والإيجاز .

**الملحق رقم 02: أهم المصطلحات والكلمات البلاغية التي وردت في كتاب " دلائل الإعجاز " :**

- 1- **النظم** : وهو أهم مصطلح في الكتاب وهو يعني ترتيب الألفاظ وفق مقتضى الحال مع مراعاة المعنى في تركيب الجملة وليس الترتيب النحوي فقط .
- 2- **المعنى** : وهو التفريق بين المعاني المفردة والمعاني المركبة وأن إعجاز الكلام لا يتم بالمعنى وحده بل بطريقة التعبير عنه .
- 3- **اللفظ** : اللفظ لا يفهم ولا يحكم عليه بالجودة أو الرداءة إلا من خلال علاقته بما حوله من ألفاظ أي من خلال النظم.
- 4- **التركيب** : زهر جزء من نظرية النظم ، فالجمال والإعجاز في كيفية تركيب الجمل والمعاني وليس في الكلمة المفردة .
- 5- **التقديم والتأخير** : من وسائل البلاغة التي ناقشها الجرجاني وبين أثرها في المعنى
- 6- **الحذف** : وهو من أساليب البلاغة البارزة ، بشرط أن يكون الحذف مفهوماً من السياق ويضيف على المعنى .

- 7- **الفصل والوصل** : بحث فيهما الجرجاني من حيث تأثيرهما في اتساق المعنى وقوة الجملة .
- 8- **البلاغة** : يرى أنها في الألفاظ أو الزينة اللفظية بل في مطابقة الكلام لمقتضى الحال .
- 9- **البيان** : تكلم عن البيان بمعناه البلاغي ، أي إظهار المعنى بوجه واضح ، باستخدام الوسائل البلاغية .
- 10- **الإعجاز** : وهو المفهوم الرئيسي الذي يدور حوله الكتاب وبين كيف أن الإعجاز القرآن الكريم يتم من خلال نظمه وبيانه.
- 11- **التناسب** : يعني التناسب بين المعاني والألفاظ وبين أجزاء الكلام بعضها مع بعض .
- 12- **السياق** : له أهمية كبرى في تحديد المعنى وتذوق البلاغة .
- 13- **القرائن** : وهي التي تفهم منها المعاني غير المذكورة وتدل على الحذف أو التقديم أو غيره .
- 14- **السبك** : هو قريب من مفهوم النظم ، ويعني شدة ترابط الكلام وتماسكه .
- 15- **الإقتضاء** : أي أن الكلام يقتضي بعضه بعضا ، فلا يمكن فصله أو نقله دون أن يختل المعنى .

ومن هنا يتضح لنا أن عبد القاهر الجرجاني لم يركز على المصطلحات البلاغية التقليدية من استعارة وكناية وتشبيه فحسب ، بل قدم رؤية **نظمية** تعتمد على العلاقة بين المعنى والتركييب والسياق ، وتعد هذه الثورة فكرية كبيرة في دراسة البلاغة العربية.

كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني يعد من أعظم كتب البلاغة والنقد العربي وقد أسس فيه نظريته الفريدة في **نظم الكلام** ، وبين من خلاله أن إعجاز القرآن الكريم ليس في الألفاظ منفردة ولا في المعاني مقردة ، بل في نظمها وتركيبها .

ملحق رقم 03: قصيدة :

إني أقول مقالا لست أخفيه      ولست ارهب خصما ان بدا في

ما من سبيل الى اثبات معجزة      في النظم الا بما اصبحت ابيه

فما لنظم كلام انت ناظمه      معنى سوى حكم اعراب تزجيه

اسم يرى وهو اصل للكلام فما      يتم من دونه قصد لمنشيه

واخر هو يعطيك الزيادة في      ما انت تثبته او انت تنفيه

تفسير ذلك ان الاصل مبتدأ      تلقى له خيرا من بعد تنبيه

وفاعل مسند فعل تقدمه      اليه يكسبه وصفا ويعطيه

هذان اصلان لا تأتيك فائدة      من منطق لم يكونا من مبانيه

وما يزيدك من بعد التمام فما      سلطت فعلا عليه في تعديه

هذي قوانين يلفى من تتبعها      ما يشبه البحر فيضا من نواحيه

فلست تأتي الى باب لتعلمه      الا انصرفت بعجز عن تقصيه

هذا كذاك وان كان الذين ترى      يرون ان المدى دان لباغيه

ثم الذي هو قصدي ان يقال لهم      بما يجيب الفتى خصما يماريه

يقول من اين ان لا نظم يشبهه      وليس من منطق في ذاك يحكيه

وقد علمنا بان النظم ليس سوى      حكم من النحو نمضي في توخيه

لو نقب الارض باغ غير ذاك له      معنى وصعد يعلو في ترقيه

ما عاد الا بخسر في تطلبه      ولا رأى غير غي في تبغيه

ونحن ما ان بثتنا الفكر ننظر      في احكامه ونروى في معانيه

كانت حقائق يلقي العلم مشتركا      بها وكلا تراه نافذا فيه

فليس معرفة من دون معرفة      في كل ما انت من باب تسميه

ترى تصرفهم في الكل مطردا  
يجرونه باقتدار في مجاريه  
فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا  
حتى غدا العجز يهمني سيل واديه  
قولوا والا فاصغوا للبيان تروا  
كالصبح منبلجا في عين رائيه

## قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ -2007م.
2. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط دار الدعوة اسطنبول، د.ط 1980.
3. ابن جني، الخصائص، مج 1، تح: علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952.
4. ابن عربي، تفسير القرآن الكريم، تح: د. مصطفى غالب، مج 3، دار الأندلس للنشر والتوزيع - بيروت، ط2، 1978.
5. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط2، 1993.
6. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط2، 1993.
7. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، محرم 1405 هـ، ج 7 .
8. الأمدي، منتهى السؤل في علم الأصول، الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملايوية، مصر، د.ط، د.ت.
9. الباجي ، الإشارة في أصول الفقه .
10. بسام عبد الرحمن المشاقبة ، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب ، ط1 ، دار أسامة الأردن : 2010 ، ص 99 .
11. بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
12. ترجمت أحمد عبد الغفور عطار، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، مج 1، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان : 1990.
13. تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها ، ط3، سنة 1418هـ / 1998م ، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

14. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د.ت.
15. جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: أنباء الرواة على أنباء النحاة، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406 هـ - 1986 م، ص 188.
16. جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النصّ، الألوكة، ط 1 ، 2015م.
17. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1978.
18. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987.
19. الجوهري، الصحاح، تح: د.إميل بديع يعقوب، د.محمد نبيل الطريفي، ج 1، دار الكتب العلمية - لبنان.
20. جيرار جهامي موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2000.
21. حسين خمري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، الدار العربية للعلوم وناشرون .
22. حمد بن عبده بن حسن خير الله ولد سنة 1266 هـ الموافق 1849 م / ت 1905 م ، عالم دين وفقه ومجدد إسلامي مصري، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، قام بتحقيق وشرح "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني.
23. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 1434/2013 .
24. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، العراق، د.ط 1980.

25. خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، ط1، 2013م.
26. دومنيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ت ر محمد يحياتن ، ط 1 ، دار العربية للعلوم تشرون ، لبنان بيروت : 2008 .
27. رسالة ماجستير في علوم البلاغة : بعنوان "مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في بلاغته"، الطالبة هند جميل صالح باية، إشراف علي محمد حسن العماري جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، 1407هـ - 1777م.
28. روبرت دي لوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1998م .
29. رولان بارت ، درس سيمولوجيا ، ترجمة : بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، ط3 ، 1993م .
30. رولان بارت الكتابة في درجة الصفر، ت: نعيم الحمصي، منشورات وزارة الثقافة - دمشق، ط1، 1970.
31. رولان بارت ، تحقيق : منذر عياشي ، هسهسة اللغة ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط1
32. الزمخشري الكشاف، دار الفكر - بيروت، ط1، 1977.
33. زمخشري، أساس البلاغة تح: د مزيد نعيم، د. شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998.
34. الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1419 ، 1هـ 1998م/ ج 2 .
35. ساراميلز، مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، ت: عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2003.
36. السرخسي ، أصول السرخسي ، 164/1.
37. سعيد حسن بحيري : علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات مؤسسة المختار، ط2، 1431/2010.

38. سعيد حسين بحيري ، علم لغة النص ، الشركة العالمية للنشر ، لونغمان المصرية ، ط1 .
39. السيد احمد عبد الغفار ، التصور اللغوي عند الأصوليين ، شركة مكنتات عكاظ ، جدة ، ط1 ، 1401هـ.
40. سمية ابربر ، مفاهيم لسانيات النص في كتاب دلائل الإعجاز ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة عنابة ، جوان 2011.
41. الشافعي ، الرسالة .
42. صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية .
43. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، عدد 164 ، 1992م .
44. عبد السلام حيمر في سوسولوجيا الخطاب \_ من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل ، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، لبنان : 2008 .
45. عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط1، 1978.
46. عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية الدكتور أحمد بدوى وكيل كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
47. عبد القاهر الجرجاني وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية ، الطبعة الأولى م. دار الفكر بدمشق 1983هـ 1403
48. عبد الله خضر حمد، لسانيات النص القرآني دراسة تطبيقية في الترابط النصي، دار القلم، بيروت، لبنان د.ط، د.ت.
49. عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط2، 1999.
50. عبدالله إبراهيم، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.

51. عبدالله إبراهيم، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
52. عبدالله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1999.
53. عبدالله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
54. عبدالله شبر تفسير القرآن مراجعة حامد حفني داود، مطبوعات النجاح بالقاهرة، ط2، 1966.
55. علي حرب، الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، معهد الإنماء العربي، ط1، 1989.
56. الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج 1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1997.
57. الفخر الرازي المحصول في علم الأصول، تعليق: محمد عبد القادر عطا، ج 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1999.
58. الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ص187.
59. الفيروزبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، دار الحديث القاهرة 1429هـ - 2008م، ج 1.
60. الكفوي، الكليات القسم الثاني تح: عدنان درويش محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1982.
61. لزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2000.
62. مال الدين أبي الحسن، علي بن يوسف الققطي: إنباة الرواة على أنباة النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت - لبنان 1406هـ - 1906م.

63. محمد خطابي ، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، ط1 ، 1991م.
64. محمد خطابي، لسانيات النَّصّ مدخل إلى انسجام النص، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.
65. محمد عزام ، النص الغائب : تجليات التناص في الشعر العربي ، اتحاد الكتاب العربي ، 2001م .
66. محمد علي الكردي، الخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو، فصول، مج 11 ، 1992.
67. مصطفى صلاح قطب، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2014 .
68. معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004.
69. منذر عياشي، اللسانيات والدلالة "الكلمة" ، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1 ، 1992.
70. ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ت: سالم يفوت المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1968.
71. ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، ت: جورج أبي صالح، مراجعة وتقديم مطاع ، صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990.
72. نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية لونغمان ، ط1 ، 2003م .
73. نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط5 ، 2000م .
74. نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، وايد محمد مراد ، الطبعة الأولى 1403هـ 1983م، دار الفكر بدمشق .
75. نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ط1 ، دراسة معجمية ، جدار الكتاب العالمي، عمان الأردن : 2009 .

76. النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان مجه ، الأجزاء 23-17 ، دار الكتب- القاهرة. البابي الحلبي، 1962.
77. يسرى نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية ، دار النشر للنابعة والتوزيع ، ط1 ، 2014م .

# فہرس

شكر و تقدير

	اهداء
	اهداء
أ-ت	مقدمة
	مدخل : مفاهيم عامة حول مصطلحات البحث لسانيات الخطاب
11	مصطلح النص لدى العرب والغرب
18	مصطلح الخطاب لدى العرب والغرب
31	لسانيات الخطاب نشأة والتطور
	الفصل الأول : التعريف بالمصنف عبد القاهر الجرجاني وكتابه دلائل الإعجاز
46	عبد القاهر الجرجاني
46	التعريف بالكتاب
	الفصل الثاني : معايير لسانيات النص والخطاب في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني
49	الإتساق وأدواته في كتاب دلائل الإعجاز
55	الإنسجام وآلياته في كتاب دلائل الإعجاز
57	خانمة
60	قائمة المصادر والمراجع
67	فهرس

## المخلص باللغة العربية :

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الأسس الخطابية في التراث البلاغي من خلال تحليل كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني. وقد تم التركيز على العلاقة بين البلاغة العربية القديمة وعلوم اللسانيات الحديثة، من خلال دراسة مظاهر الاتساق وآليات الانسجام في الخطاب. أظهرت النتائج أن الجرجاني قدم رؤية متقدمة للمعنى والسياق، تتماشى مع ما تقدمه اللسانيات التداولية. كما أكدت الدراسة على قدرة الجرجاني في الربط بين البنية اللغوية والمقصد البلاغي. وتبرز المذكرة أن التراث البلاغي يحتوي على أبعاد دلالية وخطابية يمكن إعادة تفعيلها ضمن المناهج اللسانية المعاصرة.

**الكلمات المفتاحية :** التراث ، البلاغة ، الاتساق ، الإنسجام ، الجرجاني ، الخطاب .

### Summary :

This study aims to explore the rhetorical foundations in the Arabic rhetorical heritage through an analysis of *Dalā'il al-I'jāz* by 'Abd al-Qāhir al-Jurjānī. The focus was placed on the relationship between classical Arabic rhetoric and modern linguistic sciences, by examining aspects of cohesion and mechanisms of coherence in discourse. The results revealed that al-Jurjānī presented an advanced vision of meaning and context, in line with what is proposed in pragmatic linguistics. The study also confirmed al-Jurjānī's ability to connect linguistic structure with rhetorical intent. The research highlights that Arabic rhetorical heritage contains semantic and discursive dimensions that can be reactivated within contemporary linguistic approaches.

**Keywords:** heritage, rhetoric, consistency, harmony, Al-Jurjani, discourse.